حِـــوَارُ هِرَقْـــلَ وأَبِي سُفْيَـــانَ

دِرَاسَـــةٌ دَعَـــوِيَّةٌ

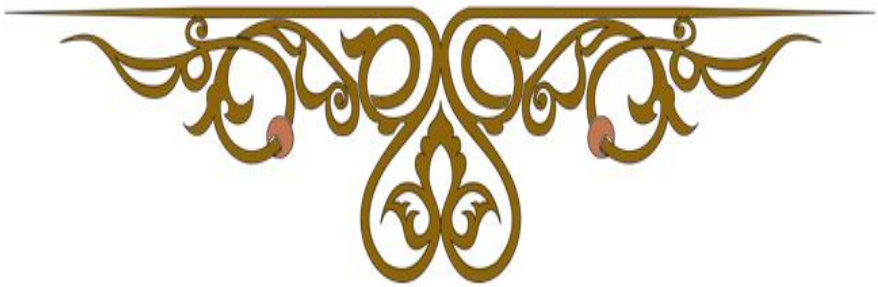

الدكتور

خالد مُحَمَّد حمدي صميدة

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر.

khaledsemeda.adv@azhar.edu.eg

حِـــــوَارُ هِرَقْـــــلَ وأَبِي سُفْيَـــــــانَ

دِرَاسَـــــــةٌ دَعَـــــــوِيَّةٌ

خالد مُحَمَّد حمدي صميدة

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنوفية، مصر

البريد الإلك تروني: khaledsemeda.adv@azhar.edu.e

ملخص:

الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ للناس كافة بشيراً ونذيراً، ولتحقيق عالمية الدعوة الإسلامية وسَّع ﷺ نطاق الدعوة الإسلامية، وخرج بها بعد صلح الحديبة خارج الجزيرة العربية، فوجه كتبه ورسله إلى الملوك والأمراء في عصره، ومن هؤلاء هرقل ملك الروم الذي كانت له امبراطورية عظمى في ذلك الوقت، وكان في ذروة مجده؛ إذ كان خارجاً من انتصارات على كسرى ملك الفرس، وقد ظهرت قوة عقل هرقل، وذكاؤه، ورجاحة فكره، في موقفه من رسالة النبيﷺ، إذ إنه لم يتسرع في الرد على الرسالة قبولاً أو رفضاً، وإنما تثبت وتبين من صدق النبيﷺ، عن طريق أقرب شخص إليه ﷺ، وهو أبو سفيان، إذ كان يقيم في بلاد هرقل وقتها للتجارة، فدار بين هرقل وأبي سفيان حوار طويل، استكشف فيه هرقل جوانب حياة النبيﷺ وحاله، وشخصيته، وأخلاقه، وموضوع دعوته، وعدد أتباعه، وصفاتهم، ومدى تمسكهم بهذه الدعوة التي جاءهم بها النبيﷺ، كل هذا من خلال أسئلة وجهها لأبي سفيان، ويظهر من هذا الحوار دروسٌ دعويةٌ في جانب الداعي، والمدعو، والدعوة، أردت أن أُظهرها في هذا البحث، فهي من الأهمية بمكان في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: حوار، هرقل، أبوسفيان، دراسة دعوية، النبيﷺ

The Dialog of Hercules and Abi Sufyan advocacy study

Khalid Mohammed Hamdi Samida

Department of Da'wa and Islamic Culture,
Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wa,
Al-Azhar University, Menoufia, Egypt

E-mail: khaledsemeda.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

Allah, Glory Be to Him, sent his messenger Mohammed, PBUH, to all mankind, to convey to them glad tidings and to warn them of what will come. And to make it a universal message, the prophet, PBUH, broadened the scope of his Call, going beyond the borders of the Arabian Peninsula. So, after the Agreement of Al-Hudaibiyya, he sent his letters of invitation and messengers to the kings and princes of his age, inviting them to embrace Islam, among them was Hercules, the Byzantine Emperor, who had a great empire at that time, and was at the peak of his glory after his victory over Kisra, the Persian king. Hercules's power of mind, intelligence and thoughtfulness appeared in his stance with the

MESSAGE AS HE DIDN'T RUSH TO ACCEPT OR REJECT THE MESSAGE; RATHER HE VERIFIED AND MADE SURE OF THE TRUTH OF THE PROPHET BY ASKING ABU SUFIAN, WHO WAS STAYING IN HIS COUNTRY FOR TRADE. THEY HAD A LONG DIALOGUE, IN WHICH HE DETECTED, THROUGH POSING SOME QUESTIONS, THE ASPECTS OF THE PROPHET'S LIFE, HIS STATE, CHARACTER, MANNERS, AND THE SUBJECT OF HIS CALL, THE NUMBER OF HIS FOLLOWERS, THEIR QUALITIES AND HOW FAR THEY ADHERE TO THIS CALL. THROUGH THAT DIALOGUE, THERE ARE SEVERAL LESSONS RELATED TO THE PREACHER, THOSE INVITED AND THE CALL, I WANTED TO CLARIFY THEM IN THIS THESIS, AS THEY ARE GREATLY IMPORTANT IN THE FIELD OF CALLING TO ALLAH.

Keywords: Dialogue, Hercules, Abu-Sufyan, Dawah Study, Prophet

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين، الذي أكملَ اللهُ به الدين، وعلى آله وصَحْبِه الغُرّ الميامين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، فقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[1].

ولتحقيق هذه العالمية وسَّع ﷺ نطاق الدعوة الإسلامية، وخرج بها بعد صلح الحديبية[2] خارج الجزيرة العربية، فوجه ﷺ كتبه ورسله إلى الملوك والأمراء في عصره، ومن هؤلاء هرقل ملك الروم الذي كانت له امبراطورية عظمى في ذلك الوقت، وكان في ذروة مجده؛ إذ كان خارجاً من انتصارات على مناوئه كسرى ملك الفرس[3].

---

(١) سورة سبأ من الآية: ٢٨.

(٢) صلح الحديبية: معاهدة عقدها الرسول ﷺ مع قريش، في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة، على إثر منعهم للرسول ﷺ ومن معه من دخول مكة من أجل أداء العمرة بعد أن رأى الرسول ﷺ رؤيا تبشره بدخول المسلمين إلى مكة معتمرين، وسمي هذا الصلح بصلح الحديبية: نسبة إلى المكان الذي عقد فيه قرب موضع يقال له: الحديبية قبيل مكة. السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٤ صـ ٢٨١، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

(٣) كِسْرَى أَبْرَوِيزَ بْنِ هُرْمُز، كان ملك الدولة الساسانية في بلاد فارس، ابن هرمز الرابع، وحفيد كسرى الأول، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِهِمْ بَطْشًا، وَأَنْفَذِهِمْ رَأْيًا، وَبَلَغَ مِنَ الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَجَمْعِ الْأَمْوَالِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَبْلَهُ، وَلِذَلِكَ لُقِّبَ أَبْرَوِيزَ، وَمَعْنَاهُ الْمُظَفَّر. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير جـ ١ صـ ٤٢٨، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

واختلفت ردود أفعال المدعوين من الملوك والأمراء إزاء هذه الرسائل النبوية، وظهرت قوة عقل هرقل، وذكاؤه، ورجاحة فكره، في موقفه من رسالة النبيﷺ، إذ إنه لم يتسرع في الرد على الرسالة قبولاً أو رفضاً، وإنما تثبت وتبين من صدق النبيﷺ، وقد دفعه إلى ذلك علمُه ودرايتُه بأوصاف ذلك النبي الذي أخبرت الكتب السابقة أنه سيخرج آخر الزمان، وكان تثبت هرقل من صدق النبي ﷺ عن طريق أقرب شخص إلى رسول الله ﷺ يقيم في بلاد هرقل للتجارة وقتها، وهو أبو سفيان، فدار بينهما حوار طويل، استكشف فيه هرقل جوانب حياة النبيﷺ، وحاله، وشخصيته، وأخلاقه، وموضوع دعوته، وعدد أتباعه، وصفاتهم، ومدى تمسكهم بهذه الدعوة التي جاءهم بها النبيﷺ، كل هذا من خلال أسئلة وجهها لأبي سفيان.

ويظهر من هذا الحوار دروسٌ دعويةٌ في جانب الداعي، والمدعو، والدعوة، أردت أن أجليها، وأكشف عنها اللثام في هذا البحث، فهذا الدروس من الأهمية بمكان في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وجعلت عنوانه: **(حوار هرقل وأبي سفيان دراسة دعوية)**.

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدةُ أسباب، منها:

أولاً: بيان أسلوب مهم من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، وهو أسلوب الحوار.

ثانياً: كشف اللثام عن الدروس الدعوية في حوار هرقل وإبي سفيان في جانب الداعي والمدعو والدعوة.

ثالثاً: محاولة بيان كيفية الاستفادة من الدروس الدعوية الواردة في الحوار في العصر الحاضر.

الدراسات السابقة:

بعد البحث عن دراسات سابقة لموضوع: **(حِـــوَارُ هِرَقْـلَ وأَبِي سُفْيَـانَ دِرَاسَةٌ دَعوِيَّةٌ)** لم أقف على دراسةً أكاديمية تناولت هذا الموضوع، وفي حدود علم الباحث أن هذا الموضوع لم يسبق أن تناوله الباحثون بالشكل الذي جاء به في هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي: (الذي يهدف إلى وصف ظواهر أو أحداث معينة، بجمع الحقائق والمعلومات عنها، ثم وصف الظروف الخاصة بها، وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع، وكثيراً ما يتعدى البحث الوصفي حد الوصف أو التشخيص، وإنما يهتم بدراسة الوقائع والأحداث، ويحللها، ويفسرها، ويحدد الظروف والعلاقات التي توجد بين تلك الوقائع)[1] .

(١) منهجية البحث في العلوم الإنسانية والتطبيقية، د/ عبود عبد الله العسكري صـ ١٤ طبعة دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق .

ويُعرف هذا المنهج أيضا باسم المنهج التاريخي: (وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية)[١].

كما اعتمدت على المنهج التحليلي الاستنباطي: (الذي يقوم بتحليل المحتوى والتوصل من خلاله إلى النتائج المتصلة بموضوع البحث من قريب أو بعيد)[٢].

وقد اتبعت في هذا البحث الخطوات التالية:

١- عزوت الآيات القرآنية إلى السور التي وردت فيها، مع ذكر اسم السورة، ورقم الآية وذكر أقوال أئمة التفسير- غالباً.

٢- اقتصرتُ في هذا البحث على ذِكْرِ الأحاديث الصحيحة والحسنة، دون الاعتماد على الضعيف.

٣- حرَصْتُ على جمع المعلومات من مصادرها الأصيلة مباشرة، مع الاستفادة من المراجع الحديثة.

٤- ترجمتُ للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى كتب التراجم.

٥- ترجمتُ للأماكن والبلدان، والفِرق والمذاهب والنِّحل التي جاء ذكرها في ثنايا البحث.

٦- التزمتُ الأمانة العلمية، فنسبت كل قول إلى قائله، ووضعته بين علامات التنصيص، وإن كان بتصرف أشرت إلى ذلك، مع كتابة اسم الكتاب،

(١) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوى، صـ ٦٨، طبعة دار النهضة العربية، مصر، ١٩٦٣م.

(٢) البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، د/ ذوقان عبيدات وآخرون صـ ٦، طبعة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،الأردن.

ثم اسم المؤلف، ثم رقم الجزء، والصفحة، وتاريخ ومكان الطبع إن وجد، هذا عند ذكر المرجع لأول مرة، واستغنيت باسم الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة بعد ذلك عندما يتكرر الرجوع إلى نفس المرجع.

٧- قمت بترتيب المراجع في نهاية البحث ترتيباً هجائياً، بادئاً باسم الكتاب، ثم اسم المؤلِّف.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث.

المبحث الأول: بين يدي الحوار.

المبحث الثاني: الدروس الدعوية في جانب الداعي.

المبحث الثالث: الدروس الدعوية في جانب المدعو.

المبحث الرابع: الدروس الدعوية في جانب الدعوة.

الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلِّ اللهم على سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحْبه وسلم.

تمهيد

(التعريف بمفردات عنوان البحث)

أولاً: مفهوم الحوار.

الحوار في اللغة: (الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحاورة، رجع عنه وإليه، والمُحَاوَرَةُ: المجاوبة، والتَّحاوُرُ: التجاوب، وهم يَتَحاوَرُون أَي يتراجعون الكلام، والمُحَاوَرَةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)[1].

فالحوار من المُحاورة، وهي المُراجعة في الكلام وتبادله وتداوله بين طرفي الحوار.

وفي الاصطلاح: (نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يتأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب)[2].

قال تعالى في قصة صاحب الجنتين: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾[3].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور جـ ٤ صـ ٢١٧، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، صـ ٦، الطبعة الخامسة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٤: ٣٧.

قال الإمام القرطبي[1]–رحمه الله–: (أي يراجعُهُ في الكلام ويجاوبُهُ، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب)[2].

وقال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾[3]. أي تراجعكما في الكلام.

فالحوار مراجعة الكلام بين طرفين مختلفين– فئتين أو شخصين– مع تقديم الحجج والبراهين لإقناع أحدهما برأي الآخر، أو لتقريب وجهات النظر، مع الرغبة في إظهار الحق من كلا الطرفين.

أما الجدال: فهو من جَدَلَ الحبل إذا فَتَلَه؛ وهو مستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مُقابَلَة الأدلة لظهور أرجحها.

وقد ورد إطلاق (الجدل) في نصوص القرآن والسنة على نوعين متباينين:

الأول: الجدل المذموم، وهو الذي يدور في طلب المغالبة لا الحق، أو الذي فيه نوع من الخصومة والتعصب، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾[4].

---

(١) محمّد بن أَحْمد بن أبي بكر بن فَرح: أَبُو عبد الله الْأَنْصَارِيّ، الخزرجي، الْقُرْطُبِيّ، إمَام متفنن متبحر فِي الْعلم، لَهُ تصانيف مفيدة تدل على كَثْرَة اطلاعه ووفور فَضله، توفِّي أوائل سنة إحدى وَسبعين وستمائة بمنية بني خصيب من الصَّعِيد الْأَدْنَى بِمصْر، وَقد سَارَتْ بتفسيره الرُّكْبَان، وَهُوَ تَفْسِير عَظِيم فِي بَابه، وَله كتاب الْأَسْنَى فِي أَسمَاء الله الْحسنى، وَكتاب التَّذْكِرَة وَأَشْيَاء تدل على إمامته، وَكَثْرَة اطلاعه). الوافي بالوفيات– الصفدي، جـ ٢ صـ ٨٧، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي جـ ١٠ صـ ٤٠٣ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١.

(٤) سورة غافر: من الآية ٥.

ومنه قول الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(١)

فقوله تعالى: (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) نهيٌ عن الجدال؛ لما يفضي إليه من خصومةٍ ومشاحناتٍ، لكن هذا لا يمنع من الحوار الهادئ والتعارف والتآلف في هذه الفريضة الجامعة.

والثاني: الجدل المحمود، وهو الذي يكون في طلب الحق والوصول إليه وإظهاره بالأسلوب الحسن بعيداً عن الخصومة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾(٢).

وبهذا يختلف الحوار عن الجدل في أن الحوار هو: مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل الكلام من الأول إلى الثاني، ثم يعود إلى الأول وهكذا، دون أن يكون بين أطراف الحوار ما يدل على الخصومة والتعصب، والجدل: نقاش بين طرفين أو أطراف يغلب عليه الخصومة في إطار التخاصم بالكلام، فالجدل والجدال والمجادلة كل ذلك فيه معنى الخصومة بمعنى العناد والتمسك بالرأي والتعصب له.

أما المناظرة في اللغة فتدور حول النظر والتأمل، والنظير الشبيه والمثيل، قال ابن منظور: (والتَّناظُرُ التَّراوُضُ في الأَمر، ونَظِيرُك الذي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ وناظَرَه من المُناظَرَة ... ونَظِيرُ الشيء مِثْلُه ويقال ناظَرْت فلاناً أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة وناظَرْتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نَظِيراً له)(٣).

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة العنكبوت:٤٦

(٣) لسان العرب جـ ٥ صـ ٢١٧.

قال الجرجاني: (المناظرة: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب)[١].

فالمناظرة تفيد النظر والتفكر في الأمور والبحث عن الحق عن طريق المحاورة مع الآخرين، وهي محاورة بين طرفين حول موضوع لكل منهما وجهة نظر فيه تخالف وجهة نظر الآخر, فهو يحاول إثبات وجهة نظره وإبطال وجهة نظر خصمه.

الغاية من الحوار.

(الغاية من الحوار إقامةُ الحجة، ودفعُ الشبهة والفاسد من القول والرأي، فهو تعاون من المُتناظرين على معرفة الحقيقة والتَّوصُّل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطريق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق)[٢].

قال الإمام الذهبي[٣]–رحمه الله–: (وإنما وُضعت المناظرة لكشف الحق، وإفادة العالِم الأذكى العلم لمن دونه، وتنبيه الأغفل الأضعف)[٤].

هذه هي الغاية الأصلية، وهي جليَّة بيِّنة، وهناك غايات أخرى منها:

– التعرُّف على وجهات نظر الطرف أو الأطراف الأخرى.

– توضيح المعاني وبيان المفاهيم المختلفة مما يؤدي إلى تقدم الفكر.

(١) التعريفات جـ ١ صـ ٢٩٨، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد صـ ٢١٣ طبعة دار الأندلس الخضراء.

(٣)عثمان مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشيخ الأمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، ولد فِي ثَالِث ربيع الآخر سنة ٦٧٣، حافظ لا يجاري، ولافظ لا يباري، اتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس، جمع الكثير، ونفع الجم الغفير، وأكثر من التصنيف، توفي ٧٤٨ هـ. الوافي بالوفيات، الصفدي، جـ ٢ صـ ١١٤.

(٤) فيض القدير، المناوي جـ ١ صـ ٢٠٩، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

– توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتحاور، وعدم الاقتصار على الأفكار القديمة.

– إيجاد حلٍّ وسط يُرضي جميع الأطراف.

– تعميق التفاهم بين المتحاورين، وتبادل الأفكار بين أفراد المجتمع، ونقل التجارب والتراث الثقافي من جيل إلى جيل أو بيئة إلى بيئة.

أهمية الحوار في الدعوة إلى الله.

اهتم الإسلام بأسلوب الحوار؛ لأنه الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من داخل الإنسان دون أن يكون مفروضاً عليه من أحد، وهذا هو أساس الإيمان، فالحوار يوضح الحقائق والمفاهيم، ويحرك الوجدان، ويفتح الطريق إلى حُسن التلقي والاستجابة بين أطراف الحوار، كما أن الحوار أسلوب من أساليب الدعوة الذي من خلاله يتم تعريف الناس جميعا بالإسلام ومبادئه وقيمه وتعاليمه ومقاصده السامية، ومن خلاله أيضا تُصحح المفاهيم الخاطئة، والتصورات الباطلة، والانطباعات السلبية، التي تظهر بين الناس في كثير من الأوقات.

وتظهر أهمية الحوار في كونه أسلوباً لدعوة الناس إلى الإسلام؛ فتُعقد لذلك محاورات مع غير المسلمين، لإقناعهم بأن دين الله تعالى حق لا شك فيه، ودعوتهم إلى توحيد الله تعالى وترك ما يعبدون من دونه، وبيان مبادئ الإسلام، أو لرد شبهات أعداء الإسلام ودحضها وبيان زيفها وموقف الإسلام منها.

فأسلوب الحوار لا غنى عنه لمن يسلك طريق الدعوة، إذ الدعوة إلى الله تعالى مبنية على الحوار وقائمةٌ عليه.

ومن المتطلبات الضرورية للداعية حاجته إلى فهم أصول الحوارف حتى لا يكون البعض من الدعاة صيداً ثميناً لمخالفٍ يريد أن يفسد عليه دعوته.

نوع الحوار وطبيعته في موضوع البحث.

الحوار لابد فيه من أسئلة واستفهامات تُطرح من الطرفين أو أحدهما، ويأتي الرد من الطرف الآخر في كلام مفصَّل، من شأنه أن يزيد الأمر وضوحاً وجلاء.

وحوار هرقل مع أبي سفيان – موضوع البحث – هو من حوار الاستيضاح والاستبيان، فهرقل يسأل عن أمور في حياة النبي ﷺ وسيرته، ويستفسر عن مكانته بين قومه وعن دعوته وأتباعه، وأبو سفيان يجيبه، فكان الحوار بينهما حديثاً بين طرفين عن طريق السؤال والجواب، كل هذا مع وحدة الموضوع، وهو التحقق من صدق نبوة النبي محمد ﷺ، فكلاهما ليس على دين الإسلام، وتأتي نتيجة الحوار في النهاية لتُظهر اعتراف هرقل بنبوة النبي ﷺ وصدق رسالته، وكذلك تيقن أبوسفيان من ظهور الإسلام، ورفعة أمر النبي ﷺ.

ثانياً: التعريف بهرقل.

هو هرقل مَلِكُ الروم، الإمبراطور البيزنطيّ، وقد مَلَكَ الروم إحدى وثلاثين سنة (٦١٠-٦٤١ م) وفي ملكه مات النبي ﷺ، وهِرَقْل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر[١] وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ، ويطلق على كل من مَلَكَ الروم)[٢].

(١) معنى قيصر: البقير؛ وذلك أن أمه لما أتاها الطلق به ماتت فبقر بطنها عنه فخرج حيا، وكان يفتخر بذلك لأنه لم يخرج من فرج، واسم قيصر مشتق في لغتهم من القطع لأن أحشاء أمه قطعت حتى خرج منها) المصباح المضيء، ابن حديدة الأنصاري جـ ٢ صـ ٦٧، تحقيق محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، جـ ٨ صـ ٢١٦، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

ولد الإمبراطور هرقل في عام (٥٧٥م)، وانحدر من أصول أرمينية، ونشأ في قرطاجنة[١]، وكان والده حاكماً لإفريقية)[٢].

ولم يكن شيء يدلّ على عصاميته ونبوغه، أو عبقريته القيادية، إلى أن قام بقتل (فوقاس) الذي اغتصب الحكم من الإمبراطور البيزنطي الشرعيّ (موريس) سنة (٦٠٢م) الذي كان صاحب الفضل على كسرى أبرويز، وانتهز الفرس هذه الفرصة للزحف على الدولة البيزنطية فدوّخوها واحتلّوها وأهانوها واحتضرت الدولة البيزنطيّة الشهيرة تلفظ آخر أنفاسها، فدُعِي هرقل من قرطاجنة فقتل فوقاس، وتسلّم زمام الحكم والقيادة في سنة ٦١٠م، في الخامسة والثلاثين من عمره، وكانت الإمبراطورية في ذلك الوقت في صراع الموت والحياة، وفي براثن المجاعة، والأمراض الوبائية، والفقر، والعجز الماليّ.

(وبقي هرقل في سنواته الأولى لا يبعث أملا ولا يحرّك ساكنا، ثم تحوّل من ملك متخاذل راكن إلى الدعة والترف، إلى قائد متحمّس غيور، حيث ثارت فيه الحميّة، وتوجّه إلى مركز الإمبراطورية الإيرانية، يستعيد بلاده وكرامة أمّته، ويفتح مدن إيران الشهيرة، ويستولي على مراكزها الكبيرة، حتّى أوغل في قلب إيران، وأهان الإمبراطورية الإيرانية العظيمة القديمة، وأثخنها قتلا وجراحا، حتّى أوشكت الإمبراطورية السّاسانية على النهاية، وتزلزلت قوائم عرش آل ساسان، ورجع القائد المنتصر، فدخل القسطنطينية دخول الفاتح العظيم سنة

(١) قرطاجنة بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة، وقيل إن اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها، بلد قديم من نواحي إفريقية، أسّسها الفينيقيون في (٨١٤ ق.م)، وبمقربة من أطلالها قامت مدينة تونس. معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ ٤ صـ ٣٢٣، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.

(٢) الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل، ليلى عبد الجواد إسماعيل، صـ ٧٣، طبعة دار النهضة العربية ١٩٨٥م.

(٦٢٥م)، وتوجّه إلى بيت المقدس في سنة (٦٢٩م)؛ ليعيد إليه الصليب المقدّس، الذي أخذه الفرس، وليفي بنذره)[١].

قال الحافظ ابن حجر[٢] –رحمه الله–: (إن هرقل لما كشف الله عنه جنود فارس، مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لله، زاد ابن إسحاق عن الزهري أنه كان تبسط له البسط وتوضع عليها الرياحين فيمشي عليها)[٣].

وهذه الأمور كانت إبداءً لسرورهم وإجلالهم، وأقيم احتفال كبير بمناسبة عودة الصليب المقدّس إلى مكانه، وإظهارا للسّرور بالفتح العظيم في القدس، وفي هذا الوقت وصله كتاب النّبيّ ﷺ يدعوه فيه إلى الإسلام.

وبذلك حكم هرقل إمبراطورية واسعة، (تقاسمت مع الإمبراطورية الإيرانية العالم المتمدّن في ذلك الوقت، وحكمت نصف العالم تقريباً، وكانت لها ولايات واسعة غنيّة متمدنة راقية، في القارات الثلاث: أوربا، وآسيا، وإفريقيا، وخلفت الدولة الرومية الكبرى التي خضع لها العالم القديم)[٤].

بهذا يتبين اجتياح الفرس للأراضي البيزنطية، واحتلالهم لأجزاءٍ كبيرةٍ منها، ووصولهم إلى تخوم العاصمة البيزنطية القسطنطينية في عهد إمبراطورها الشهير هرقل، وجهود هذا الإمبراطور في تَجاوُزِ الهزائم المتتالية

(١) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، صـ ٤٠٠، الطبعة الثانية عشرة، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٥هـ.

(٢) أَحْمد بن علي بن مُحَمَّد: أبو الْفضل، الكنانى، العسقلانى، القاهرى، الشافعى، الْمَعْرُوف بِابْن حجر، وَهُوَ لقب لبَعض آبَائِهِ، الْحَافِظ، الْكَبِير، الشهير، الإمام، الْمُنْفَرد بِمَعْرِفَة الحَدِيث وَعلله فِي الْأَزْمِنَة الْمُتَأَخِّرَة، ولد سنة ثَلَاث وَسبعين وَسَبْعمائة بِمصْر، وَنَشَأ بهَا يَتِيما فِي كنف أحد أوصيائه، كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل، مات سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، الشوكاني جـ ١ صـ ٨٧، ٨٨، طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٣) فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٤.

(٤) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي صـ ٣٩٨.

إلى انتصارٍ حاسمٍ، تمثَّل في استعادة الأراضي البيزنطية، وإنهاءِ التفوُّق والسيطرة الفارسية؛ تمهيدًا لإخراجها من ساحة الصراع الدولي لتلك الحقبة نهائيّاً .

الإمبراطورية البيزنطيَّة قبل اعتلاء هرقل العرش:

كانت الإمبراطوريةُ الرُّومانية القديمة ووريثتُها الدولة البيزنطية، ودولةُ الفرس القوتين العظمتين في أواخر العصور القديمة، وشطراً كبيراً من العصور الوسطى، وعلى مدى حقبٍ طويلة كان الصراع مُحتدماً، والحدودُ مشتعلةً، والجنود مستنفرين، والعداء مستحكماً بين الدولتين.

وقد شهد هذا الصراع جولات عديدة، تبادَلَ فيها الطرفانِ الهزائمَ والانتصاراتِ، وتغيَّرتِ الحدودُ فيها أكثرَ من مرة ولم تكن مستقرَّة، فبالقوة والاستقرار السياسي في أحدهما، وحدوث التراجع والهزَّات السياسية في الأخرى، يتغيَّر خطُّ الحدود، ويتغيَّر شكلُ العلاقة، ويتجدَّد التنافُس والصراع بين الدولتَيْن العظميين.

فقد كانت الدولة الرومانية والدولة الفارسية أعظمَ دولِ العالم في عصر النبيّ ﷺ، وكانت الحروبُ بينما دائمة، وفي عصر كسرى (أبرويز) نَشِطت الدولةُ الفارسية وانتصرت على الروم واستولت على جميع ممتلكاتهم في العراق وبلاد الشام ومصر وآسيا الصغرى، يومذاك تقلصت الإمبراطورية الرومانية في عاصمتها، وسُدّت عليها جميع الطرق في حصار اقتصادي قاس، وعم القحط، وفشت الأمراض الوبائية، وأخذ الفرس يستعبدون الرعايا الروم ويستبدّون بهم للقضاء على المسيحية، فدمروا الكنائس وأخذوا خشبة الصليب المقدس وأرسولها الى المدائن، وأراقوا دماء ما يقرب من مائة ألف من السكان المسيحيين، وأوشكت الإمبراطورية الرومانية على الانهيار، فسادتْ أجزاءً مختلفة من الإمبراطورية عدةُ حركاتِ تمرُّدٍ وعصيان عسكري ضد الإمبراطور

البيزنطي (موريس ٥٨٢-٦٠٢م)، أدَّت في النهاية إلى خلْعه عن العرش، وتعقُّبه بعد فراره من العاصمة، وقتْله هو وخمسة من أبنائه.

وكان سبب هذا التمرُّدِ المعاملةَ السيئة التي كان موريس يعامِل بها رجالَ جيشه، وتأخيرَ رواتبهم، وأمور أخرى سياسية.

وقد اختار قادةُ التمرُّد قائداً مِن بينهم يُدعى (فوقاس) وأعلنوه إمبراطوراً، وتجاوَزَ فوقاس الحد في أعمال الانتقام والقتْل والإبادة والتعقُّب لرجال وأسْرة الإمبراطور السابق، ولكل الفعاليات السياسية والدينية في العاصمة؛ مما جعل القسطنطينيةَ تشهد أزمةً سياسية طاحنة من جرَّاء هذه السلسلة من أعمال القتل والتعذيب، وجعل كسرى ملك الفرس يجد في ذلك مُبرِّراً لإنهاء حقبة السلام مع الإمبراطورية البيزنطية، واستئناف القتال معها؛ بحُجَّة أخْذ الثأر لصديقه الإمبراطور موريس إضافةً إلى هذه الأخطار الخارجية، فإن الأوضاع الداخلية لم تكن بأحسنَ حالاً؛ إذ شهدتْ مدةُ حكم الإمبراطور فوقاس موجةً من المؤامرات المتتالية التي قادها بقايا أسرة موريس، وكبارُ موظَّفي الإدارة، وقيادات بعض الأُسَر الأرستقراطية، والقادة العسكريين)[١].

كما عامَلَ الإمبراطور فوقاس الأحزابَ السياسية معاملةً سيئة، جعلَتْه يفقد شيئًا فشيئًا التأييدَ الشعبي له، وعمَّتِ المعارك والمنازَعات بينهما كلَّ مكان، وامتدَّتْ من القسطنطينية إلى مدن الإمبراطورية الأخرى.

وفضلاً عن ذلك؛ فإن الأحوال الاقتصادية شهدت تدهوراً أيضًا؛ ذلك أن التقدُّم الفارسي في آسيا الصغرى، والاستيلاء على أجزاء من سوريا وما بين النهرَيْن، حَرَمَ الإمبراطوريةَ من أموال الضرائب؛ مما كان له أثرُه السيئ على

(١) الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل، ليلى عبدالجواد، صـ ٤٩: ٥٢.

الاقتصاد، أدَّى في النهاية إلى انتشار الجوع، والنقص في إمدادات الطعام وانتشار الأمراض)[١].

(ورافق هذه الأزمةَ الاقتصادية سوءُ الأحوال المناخية؛ مما أدَّى إلى تلف المحصول الزراعي بسبب شدة البرد، وانقطاع إمدادات القمح من إفريقيا ومصر، وعانَتِ الطبقات الفقيرة في المدينة بصفةٍ خاصةٍ – تلك التي كانت تتمتَّع بالحصول على الخبز المجاني – من الحرمان والجوع وأدَّى كلُّ ذلك إلى مُضاعفةِ الاستياء العام في العاصمة والمدن الأخر)[٢].

أما على الجانب العسكري، فإنَّ الأزمة كانت أكثر فداحةً؛ إذ إنَّ هذا الجيش القوي المُدرَّب الذي تمتَّعَت الإمبراطورية بحمايته، قد أخذ شأنُه يتناقَص بسبب الهزائم المتتالية التي مُنِيَ بها، وفي أيام فوقاس لم تعُدْ له الكفاءة القتاليَّة المطلوبة لِمُواجَهة الأزمات الخارجية والداخلية.

هكذا أصبحت الإمبراطورية في هذه الفترة الحرِجة أسيرةً لهذه الأوضاع المتردِّية، التي شمِلتْ مختلف جوانب الحياة فيها، فمِن أزماتٍ في الحكم، إلى صراعٍ دمويٍّ عنيفٍ بين مختلف الطبقات، إلى أعداء خارجيين يُحيطون بالإمبراطورية ويُناوِشُونها، إلى انحدارٍ عسكريٍّ واقتصاديٍّ، وتردٍّ لمستوى الحياة وأنماطها داخل العاصمة وفي كلِّ أنحاء الإمبراطورية.

لقد اعتُبرتْ مدة حكم الإمبراطور فوقاس – بما شهدتْه من دموية وصراع داخلي، وتراجعٍ خارجي – مِن أسوأ الحقب في حياة الدولة البيزنطية؛ إذ فَقَدَ الحكمُ هيبته في الداخل والخارج، وتكالَبَت عليه الظروفُ السيئة التي أضعَفَت

(١) ميلاد العصور الوسطى، موس، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، صـ ٢٣٠، سلسلة الألف كتاب رقم ٦٢٣، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦٧م.

(٢) أوربا العصور الوسطى، د/ سعيد عبدالفتاح عاشور، جـ١ صـ ١٢٤، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

من مقاومته، وجعلت استمراره مستحيلاً، وكان الأعداء يُطبِقون عليه من الداخل والخارج.

في ظلِّ هذه الأوضاع، جاء الإمبراطور هرقل سنة (٦١٠ م)، مُخلِّصًا الإمبراطوريةَ من حكمها الذي انهارتِ الأوضاع في مدَّته، ومحاولاً إنقاذَها من أعدائها الخارجيين، الذين وجدوا في هذه الأوضاع وذلك الانحدار فرصتَهم الذهبية، ومن الفوضى الداخلية التي كانت ضاربةً أطنابها.

وصلت استغاثة المواطنين في القسطنطينية، إلى هرقل (الأب) أرخون[١] إفريقية تستنجد به، وكان لبُعد ولاية شمال إفريقيا، وعدم تأثُّرها بالأحداث التي جَرَتْ في القسطنطينية – الأثرُ الحاسم في سرعة الاستجابة؛ حيث أبحر هرقل الابن يقود جيشَ الإنقاذ، والذي سرعان ما حقَّق الانتصار على فوقاس.

(وتسلم هرقل في الخامس من أكتوبر سنة (٦١٠ م) إمبراطوريةً متهاوية؛ أراضيها مسلوبةٌ، وخزائنُها خاوية، والاضطراباتُ تلفُّها من كل جانب)[٢].

ولم يكن أمامه سوى العملِ بدأب على رأب هذا الصدع الذي أحاط بالإمبراطورية، وإعادة بناء الاقتصاد المنهار، وإيجاد جيشٍ قادر على الدِّفاع عنها، وإعادة الهَيْبة إلى سلطة الإمبراطور.

---

(١) الأَرْخُون: لقب أهم المسؤولين الإداريين الرئيسيين التسعة في أثينا القديمة بعد عام (٦٨٣ق.م)، كان كل أرخون يحتل المنصب لسنة واحدة، وفي أول الأمر كان الأرخونات من الأرستقراطيين الأثرياء، وكانوا يُنتخبون للمنصب انتخاباً بعد عام (٤٨٧ق.م) كان يتم اختيار الأرخونات بالقُرعة، تُنطَق: أرْخُن (أرخون)، بوضع ضمة على الخاء. وهي كلمة يونانية تعني حاكم – قائد – آمِر – رئيس — رُبَّان) الموسوعة العربية العالمية جـ ١ صـ ٤٧٨، الطبعة الثانية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

(٢) الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل، ليلى عبدالجواد، القاهرة، صـ ٧٣، ٧٤ باختصار.

واستطاع الإمبراطور هرقل أن يُحقِّق انتصاراً ساحقا على الفرس، ويصل إلى قلب الأراضي الفارسية، ولا يتوقف إلا أمام أسوار المدائن.

وإذا كان هذا الصراع في فصله الأخير انتهى بتوقيع معاهدة سلامٍ وصلحٍ، أعاد بموجبها الفرسُ كلَّ الأراضي التي سبق وأن استولوا عليها، إلا أن توقيع هذه المعاهدة سبقتْه عدةُ انتصارات ساحقة حقَّقها الإمبراطور البيزنطي، مثَّلت أثقل ضربة وجَّهها إمبراطور روماني إلى الفرس طوال هذا الصراع؛ مما جعل الاستسلامَ وطلب الصلح أمراً لا مفر منه، وبهذا الصلح انتهى ذلك الفصل المرير والطويل من الحروب الفارسية البيزنطية، لتبدأ صفحة جديدة، حيث بدأ الصراع الإسلامي البيزنطي، والذي ظلَّ قائماً منذ أيام الإمبراطور هرقل إلى سقوط القسطنطينية في يد المسلمين سنة (٨٥٧هـ – ١٤٥٣م).

ثالثاً: التعريف بأبي سفيان.

اسمه ونسبه:

هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب من لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، أبو سفيان القرشي الأموي، والد معاوية، له صحبة، مشهور باسمه وكنيته, وكان يكنى أيضا أبا حنظلة.

وكان أبو سفيان في شبابه سيد بني عبد شمس بن عبد مناف، ثم نال سيادة جميع بطون قريش بعد مقتل عتبة بن ربيعة، وأبو الحكم عمرو بن هشام المخزومي في غزوة بدر، ثم نال سيادة جميع فروع قبيلة كنانة في معركة أحد، وبقي على هذا حتى فتح مكة [١].

(وكان أبوه حرب بن أمية قائد جيوش بني كنانة في حرب الفجار [٢] ضد قبائل قيس عيلان، وأمه صفية بنت حزن الهلالية عمة ميمونة زوج النبي ﷺ, وأخته هي أم جميل أروى بنت حرب التي ذُكرت في القرآن الكريم بوصف حمالة الحطب، وابنته هي أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان زوجة رسول الله ﷺ، وابنه معاوية بن أبي سفيان هو أول ملوك الدولة الأموية)[٣].

---

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر جـ ٢ صـ ٧١٤، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ؛ أسد الغابة – ابن الأثير جـ ٢ صـ ٣٩٢، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، جـ ٢ صـ ١٠٥، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م؛ الإصابة، ابن حجر، جـ ٣ صـ ٤١٢، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢.

(٢) حَرْبُ الْفُجَّارِ: هي إحدى حروب العرب في الجاهلية وحصلت بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ كِنَانَةَ، وَبَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ، وسميت بالْفُجَّار لأنها وقعت في الأشهر الحرم. السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ١ صـ ١٨٤، ١٨٥.

(٣) الإصابة، ابن حجر جـ ٣ صـ ٣٣٣ بتصرف.

قال الإمام الذهبي– رحمه الله –: (وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم، فشهد حنيناً، وأعطاه صهره رسول الله ﷺ من الغنائم مائة من الإبل، وأربعين أوقية من الدراهم يتألفه بذلك، ففرغ عن عبادة هبل، ومال إلى الإسلام، وكان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وعاش بعده عشرين سنة، وكان عمر بن الخطابﷺ يحترمه؛ وذلك لأنه كان كبير بني أمية، وكان حمو النبي ﷺ، وما مات حتى رأى ولديه يزيد ثم معاوية أميرين على دمشق، وكان يحب الرياسة والذكر)[1].

إسلامه:

أسلم عام فتح مكة بمرّ الظهران[2] قبل فتحها، وهو ممن أسلموا يوم الفتح، ويسمون (مسلمة الفتح)

قال الإمام النووي[3] –رحمه الله –: (أسلم زمن الفتح، وكان شيخ مكة إذ ذاك، ورئيس قريش، ولقى رسول الله ﷺ بالطريق قبل دخوله مكة لفتحها فأسلم هناك)[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي جـ ٢ صـ ١٠٦ .

(٢) مر الظهران: موضع قرب مكة، وقيل: مَر القرية والظهران هو الوادي، به عيون كثيرة ونخل وهو وَادٍ فَحْلٌ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحِجَازِ يَمُرُّ شَمَالَ مَكَّةَ عَلَى ٢٢ كَيْلًا، وَيَصُبُّ فِي الْبَحْرِ جَنُوبَ جَدَّةَ بِقَرَابَةِ عِشْرِينَ كَيْلًا ; وَفِيهِ عَشَرَاتُ الْعُيُونِ). معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ ٥ صـ ١٠٤، بتصرف؛ معجم المعالم الجغرافية، عاتق بن غيث البلادي، صـ ٢٨٨، الطبعة: الأولى، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٣) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن مُحَمَّد بن جمعة بن حزام النووي الدمشقي، أبو زكريا، الإمام الحافظ المؤرّخ الفقيه، ولد في نوى من أرض حوران في الجنوب الغربي من سورية، سنة إحدى وثلاثين وستمائة، ونشأ نشأة صالحة، وأخذ العلم عن جمهرة غفيرة من العلماء الكبار في الشام آنذاك، وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق حسبة لوجه الله، وسافر آخر عمره إلى بلدته نوى، وزار بيت المقدس، والخليل، ثم رجع إلى نوى، فمرض عند أبويه، وتوفي سنة ست وسبعين وستمائة، ودفن ببلده وقبره مشهور بها. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، جـ ١ صـ ٥٥، الطبعة: الأولى، دار ابن كثير، بيروت١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

قال الإمام ابن الجوزي[٢] –رحمه الله–: (وكان الإيمان فِي قلبه متزلزلا، فعُدّ فِي المؤلفة قلوبهم، ثم استقر إيمانه وقوي يقينه)[٣].

وقال الإمام الذهبي–رحمه الله–: (وله هنات وأمور صعبة، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح، فأسلم شبه مكره خائف، ثم بعد أيام صلح إسلامه)[٤].

وقصة إسلام أبي سفيان ذكرها الإمام ابن كثير[٥]– رحمه الله– فقال: (وَنَزَلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ وَقَدْ عميت الأخبار على قُرَيْشٍ، فَلَا يَأْتِيهِمْ خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا يَدْرُونَ مَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاعِلٌ، وَخَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيَالِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يتجسسون الْأَخْبَارَ وَيَنْظُرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ قُلْتُ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ! وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَأْتُوهُ فَيَسْتَأْمِنُوهُ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي جـ٢ صـ ٥٢١، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ، الملقب جمال الدين الحافظ، كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، وكانت ولادته سنة ثمانٍ وخمسمائة، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد) وفيات الأعيان – ابن خلكان جـ ٣ صـ ١٤٠، ط دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي جـ ٥ صـ ٢٧ الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي جـ ٢ صـ ١٠٦.

(٥) إِسْمَاعِيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير: الْقَيْسِي البصروي الشَّيْخ عماد الدّين، ولد سنة سَبْعمِائَة أَو بعْدهَا بِبَسِير، وَمَات أَبوهُ سنة ٧٠٣هـ، وَنَشَأ هُوَ بِدِمَشْق، واشتغل بِالْحَدِيثِ مطالعة فِي متونه وَرِجَاله، فَجمع التَّفْسِير، وَجمع التَّارِيخ الَّذِي سَمَّاهُ الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة، وَله تصانيف مفيدة، مَاتَ فِي شعْبَان سنة ٧٧٤ هـ).الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر جـ ١ صـ ٤٤٥ : ٤٤٦، ط الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند،١٣٩٢هـ١٩٧٢م.

قَالَ: فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْبَيْضَاءِ فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الْأَرَاكَ فَقُلْتُ: لَعَلِّي أَجِدُ بَعْضَ الْحَطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يدخلهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً، قَالَ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَسِيرُ عَلَيْهَا وَأَلْتَمِسَ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلَامَ أَبِي سُفْيَانَ وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ نِيرَانًا قَطُّ وَلَا عَسْكَرًا، قَالَ: يَقُولُ بُدَيْلٌ: هَذِهِ وَاللَّهِ خُزَاعَةُ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ، قَالَ: يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ: خُزَاعَةُ أَذَلُّ وَأَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا، قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَنْظَلَةَ؟ فَعَرِفَ صَوْتِي، فَقَالَ: أَبُو الْفضل؟ قَالَ: قلت: نعم، قَالَ: مَالك فَدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي! قَالَ: قُلْتُ: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ! هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاس، فَقَالَ: واصباح قُرَيْش وَالله! فَمَا الْحِيلَةُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: قُلْتُ وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفِرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، فَارْكَبْ فِي عَجُزِ هَذِهِ الْبَغْلَةِ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْتَأْمِنُهُ لَكَ، قَالَ: فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِ، كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا عَلَيْهَا قَالُوا: عم رَسُولَ اللَّهِ ﷺعَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: من هَذَا؟ وَقَامَ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الدَّابَّةِ قَالَ: أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللَّهِ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ.

ثُمَّ خَرَجَ عُمَرُ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ فسبقته بِمَا تسبق الدَّابَّة البطيئة الرجل البطئ، قَالَ: فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُوسُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ فَدَعْنِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ دُونِي رَجُلٌ.

فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قَالَ قُلْتُ: مَهْلًا يَا عُمَرُ! فَوَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتَ هَذَا، وَلَكِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، فَقَالَ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ! وَمَا بِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ من إِسْلَام الْخطاب.فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ بِهِ يَا عَبَّاسُ إِلَى رَحْلِكَ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَأْتِنِي بِهِ»، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُول الله قَالَ: « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا بَعْدُ! قَالَ: « وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ » قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ! أَمَّا هَذِهِ وَاللَّهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ شَيْئًا! فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: وَيْحَكَ أَسْلِمْ وَاشْهَدْ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ؟ قَالَ: فَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ فَأَسْلَمَ، قَالَ الْعَبَّاسُ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: « نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ» زَادَ عُرْوَةُ: « وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»[1].

قرابته ومصاهرته للنبي ﷺ.

أبو سفيان من قرابة النبي ﷺ, فيجتمع مع رسول الله ﷺ في جدّه: (عبد مناف).

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، جـ ٣ صـ ٥٤٦: ٥٤٩ بتصرف، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م.

وتزوج رسول الله ﷺ ابنته، قال الإمام الذهبي – رحمه الله– في ترجمة أم حبيبة رضي الله عنها:(وهي من بنات عمّ الرسول ﷺ، وليس في أزواجه من هي أقرب نسبا إليه منها)[١].

تشريف داره، وإكرامه بالعطية والولاية:

قال النبي ﷺ يوم الفتح: « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[٢]، قال الحافظ ابن عبد البر –رحمه الله:(أعطاه رسول الله ﷺ يوم حنين من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية, قال: والله إنك لكريم فداك أبي وأمي، والله لقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ولقد سالمتك فنعم المسالم أنت، جزاك الله خيرا)[٣].

واستعمله النبي ﷺ على نجران[٤] فمات ﷺ وأبو سفيان والٍ عليها.

جهاده وشجاعته يوم الطائف ويوم اليرموك:

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– (عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: فُقِدَت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب، قال: فنظرت فإذا هو أبو سفيان)[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي، جـ ٢ صـ ٢١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة جـ ٥ صـ١٧٠، رقم٤٧٢٢، عن أبي هريرة ﷺ، طبعة دار الجيل، بيروت.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر جـ ٢ صـ ٧٠٤ .

(٤) نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون، تنسب إلى أول من سكنها، وهو نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأصحاب الأخدود لايزال موقعهم الأثري قائمًا فيها إلى الآن، ونجران تقع في أقصى جنوب غربي المملكة العربية السعودية. معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ ٥ صـ ٢٦٦، معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عاتق بن غيث الحربي، صـ ٣١٤، الطبعة: الأولى دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

(٥) الإصابة، ابن حجر جـ ٣ صـ ٣٣٤.

قال الحافظ ابن عبد البر – رحمه الله–:(قال أبو سفيان يوم اليرموك: الله الله فإنكم ذادة [١] العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار المشركين، اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك)[٢].

(وشهد قتال الطائف[٣]، فقلعت عينه حينئذ، ثم قلعت الأخرى يوم اليرموك[٤]، وكان يومئذ قد حَسُن –إن شاء الله– إيمانه؛ فإنه كان يومئذ يحرض على الجهاد، وكان تحت راية ولده يزيد، فكان يصيح: يا نصر الله اقترب)[٥].

وفاته:

توفي: بالمدينة سنة إحدى وثلاثين، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة ثلاث أو أربع وثلاثين، وله نحو التسعين.[٦]

(١) الذادة: جمع ذَائِدٍ، وَهُوَ الْحَامِي الدَّافِعُ. لسان العرب، ابن منظور، جـ ٣ صـ ١٦٨.

(٢) الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، جـ ٤ صـ ١٦٨٧.

(٣) غزوة الطائف حدثت في السنة الثامنة للهجرة بين قوات المسلمين بقيادة ﷺ وقبيلة ثقيف وقبيلة هوازن ، وهدفت الغزوة إلى فتح الطائف، والقضاء على قوات ثقيف وهوازن الهاربة من غزوة حنين.السيرة النوية، ابن كثير، جـ ٣صـ ٦٥٢.

(٤) معركة اليرموك: من المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام وقعت بين المسلمين والروم في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٥هـ، ٦٣٦م وانتصر فيها المسلمون نصرًا حاسمًا. الموسوعة العربية العالمية، جـ ٢٣ صـ ٤٣٠.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي جـ ٢ صـ ١٠٦.

(٦) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٠٧.

المبحث الأول

(بين يدي الحوار)

المطلب الأول: مكاتبة الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء.

كان صلح الحديبية بين النبي ﷺ وكفار قريش ومَن والاهم فتحاً مبينا للدعوة؛ فقد أراح الله المسلمين من عناء القتال، وأُتيحت الفرصة للنبي ﷺ لتوسيع نطاق الدعوة داخل الجزيرة وخارجها، فقد كان الفرس يحتلون أجزاء كبيرة من جنوب الجزيرة، وكان الرومان يحتلون أجزاء أخرى من شمالها، وانتشرت ديانة المحتلين في الأقاليم التي تخضع لهم، فسادت المجوسية في الأقاليم التابعة للفرس، وسادت النصرانية في الأقاليم التابعة للروم، وكان أمراء الأقاليم يُعَيّنون من قبل الدولة الحاكمة، وينصاعون لأوامرها، فرأى النبي ﷺ أن يكتب إلى هؤلاء الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وكان ذلك بعد صلح الحديبية.

أرسل النبي ﷺ الكتب والرسائل بعد صلح الحديبية؛ لتؤدّي دوراً في الانتقال بالدعوة الإسلامية إلى خارج محيط جزيرة العرب، فكانت هذه الكتب وسيلة هامة لإبلاغ الناس أمر دعوة الإسلام، التي من خصائصها التي تميزها عن غيرها من الدعوات أنها جاءت لجميع البشر، ولم تأت لطائفة معينة أو جنس معين، فهي دعوة عالمية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قَالَ: « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا

(١) سورة الأعراف: من الآية ١٥٨.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»(١).

ولهذه الكتب والرسائل دور مهم في نشر الدعوة؛ حيث كانت ترجمة عملية لعالمية الدعوة حتى شملت الجزيرة العربية وأطرافها ومن حولها، كما أتاحت الفرصة لمن يحملونها لإيضاح الدعوة وشرح تعاليمها بطريق الحكمة والحوار الهادف والمجادلة بالتي هي أحسن، كما أوضحت تلك الرسائل للمجتمعات التي دخلت الإسلام طريق التعامل على أساس العقيدة الصحيحة واحترام الحقوق ومراعاة إنسانية الإنسان والاعتزاز بالانتساب إلى الإسلام وعدم التعصب القبلي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب قول النبي ﷺ (جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) جـ ١ صـ ٧٤ رقم ٣٣٥، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، ط الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ومسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، جـ ١ صـ ٣٧٠، رقم ٥٢١.

ويستنتج من رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والامراء ما يلي:

١- مراعاة الأعراف الدولية:

فقد اتخذ ﷺ كافة الأسباب المؤدية إلى نجاح هذه الوسيلة، فاختار دعاة مخصوصين لحمل هذه الكتب يستطيعون بيان الدعوة وتوضيحها للناس بأبلغ بيان وأوضح أسلوب وحجة مقنعة، والدفاع عنها حين يُسألون، واتخذ ﷺ خاتماً من فضة يختم به تلك الرسائل عندما أشار عليه بعض الصحابة ببعض الأمور التي تتخذ لتكون العلاقة رسمية بين الدولتين مثل ختم الكتاب، وذلك أن الملوك لا يقرؤون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتما من فضة نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فعن أنس قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتما فقال: « إنا قد صغنا خاتما ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد»[١].

فخرج ستة نفر من هؤلاء الرسل في يوم واحد، يقول الإمام ابن القيم[٢]- رحمه الله-: (لما رجع من الحديبية كتب إلى ملوك الأرض وأرسل إليهم رسله، فكتب إلى ملك الروم فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا إذا كان مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر: محمد سطر ورسول سطر والله

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب الخاتم في الخنصر جـ ٥ صـ ٢٢٠٥ رقم ٥٥٣٦، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب لبس النبي ﷺ خاتما من ورق نقشه مُحَمَّد رسول الله، ولبس الخلفاء له من بعده جـ ٣، صـ ١٦٥٦، رقم ٢٠٩٢.

(٢) مُحَمَّد بن أَبِي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدِّين ابْن قيم الجوزية الحنبلي، الْعَلامَة الْكَبِير الْمُجْتَهد المصَنّف الْمَشْهُور، ولد سنة ٦٩١هـ إِحْدَى وَتِسْعين وسِتمِائَة، وَسمع من ابْن تَيْمِية، وبرع فِي جَمِيع الْعُلُوم، وفَاق الأقران، واشتهر فِي الْآفَاقَ، مَات سنة إِحْدَى وَخمسين وَسَبْعمائة). البدر الطالع، الشوكاني جـ ٢ صـ ١٤٣.

سطر وختم به الكتب إلى الملوك، وبعث ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع)[1].

٢- اختيار التوقيت المناسب لإرسال الرسائل:

أرسل ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة، وهذا اختيار للوقت المناسب لإرسال هذه الكتب لدعوة الحكام والملوك إلى الإسلام؛ لأن اليهود قد انتهى دورهم، وقريش في هدنة مع المسلمين، ثم تظهر شجاعة عظيمة لرسول الله ﷺ في إرسال هذه الكتب إلى هؤلاء الملوك أصحاب القوة، فإنه ﷺ إن كان قد عقد الصلح مع قريش لكنه لم يكن قد تم له فتح مكة ولم يسلم أهلها وبذلك لم تتوطد له دعائم القوة كاملة، إلا أن رسول الله ﷺ كان واثقاً من قوة رسالته ونصر الله تعالى، فأقدم على إرسال رسله بقلب ثابت وعزم ماضٍ.

٣- تهيئة الأجواء قبل الشروع في العمل:

فالنبي ﷺ قد أحسّ في أصحابه الكرام بنوع من التردد في شأن هذه المكاتبات إلى الملوك أصحاب الدول الكبرى، أو التهيب من دعوتهم إلى الإسلام، فخرج عليهم ذات يوم فقال لهم: (أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة، فلا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه)[2].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم جـ ١ صـ ١١٩، تحقيق شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٤ صـ ٤٤١.

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبهذه الكتب تمكن ﷺ من معرفة هؤلاء الملوك والأمراء نحوه وميلهم إليه، وقد أدت الرسائل كلها مهمتها خير أداء، وتمتاز هذه الرسائل والكتب بأنها كتبت بحكمة فالرسول ﷺ فيها سمح يدعو ولا يهدد، يخاطب الملوك بألقابهم ويعترف بمكانتهم ويقرر أن سلطانهم في ظل الإسلام باق لهم، وهو بذلك يؤكد أنه ليس طالب ملك.

٤- حسن اختيار السفراء:

فاختيار الدعاة الناجحين لحمل هذه الكتب ونقلها إلى مختلف الملوك وكان هذا الاختيار على أسس وقواعد منها:

- أن يكون الداعية (السفير) صاحب عقيدة راسخة وإخلاص لله رب العالمين.

- معرفة الداعية لغة من سيرسل إليه، وقد كان كل رسول ممن بعثهم النبي ﷺ يتقن لغة القوم الذين بعث إليهم، قال ابن سعد: (وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم)[١].

وكذلك خبرته بأحوال البلد المرسل إليها، أي أن يكون على علم بأحوال وظروف وعادات المدعوين حتى يدعوهم بما يوافق حالهم فوجه ﷺ من أصحابه من كان يتردد على هذه البلد وأهلها كثيراً (وإنما خص رسول الله ﷺعبد الله بن حذافة بإرساله إلى كسرى لأنه كان يتردد عليهم كثيرا ويختلف إلى بلاده)[٢].

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، جـ ١ صـ ١٩٨، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

(٢) المصباح المضيء، ابن حديدة الأنصاري جـ ٢ صـ ١٥٣.

– أن يكون الداعية من ذوي الكفاءة والخبرة، وصاحب لسان فصيح، وبلاغة وحنكة يستطيع محاورة وإقناع الآخرين، فحاطب بن أبي بلتعة لما توجه بكتاب النبي ﷺ إلى المقوقس دار بينهما حوار فقال المقوقس: (إني سأكلمك بكلام فأحب أن تفهمه مني قال قلت هلم قال أخبرني عن صاحبك أليس هو نبي؟ قلت بلى، هو رسول الله قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيره قال فقلت عيسى بن مريم أليس تشهد أنه رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله عز وجل حتى رفعه الله إلى السماء الدنيا فقال لي أنت حكيم جاء من عند حكيم)[1].

لذا ينبغي أن يكون الداعية على ثقافة علمية واسعة؛ لأنه مبعوث وسفير الإسلام إلى تلك الدول غير المسلمة.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير جـ ٤ صـ ٢٧٢، مكتبة المعارف، بيروت.

المطلب الثاني: نصُّ الحوارِ وقِصَّتُه:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ عَبَّاسٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ(١) مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّأْمِ فِي المُدَّةِ(٢) الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ(٣) فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ(٤)، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ(٥)، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ.

قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا القَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لاَ.

---

(١) الركب: جمع راكب كصحب وصاحب، وهم: أولو الإبل، العشرة فما فوقها، والمعنى: أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب، وذاك لأنه كان كبيرهم فلهذا خصه، وكان عدد الركب ثلاثين رجلا، والموضع الَّذِي كَانُوا فِيهِ من الشَّام هُوَ غَزَّة وَكَانَ متجرهم إِلَيْهَا. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٢٩١.

(٢) المدَّة: يعني مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست، وكانت مدتها عشر سنين. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٤.

(٣) مَادَّ بتشديد الدال أي جعل بينه وبينه مدة صلح. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ١٨٦.

(٤) إيلياء: بِكَسْر الْهمزَة وَاللَّام بَينهمَا يَاء أخيرة سَاكِنة وَقبل الْألف مثلهَا مَفْتُوحَة اسم مدينة بيت المقدس، وقيل: إنما سميت إيلياء باسم بانيها وهو إيلياء بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وهو أخو دمشق وحمص وأردنّ وفلسطين. معجم البلدان، ياقوت الحموي جـ١ صـ ٢٩٣.

(٥) اجعلوهم عند ظهره: أَيْ لِئَلَّا يَسْتَحْيُوا أَنْ يُوَاجِهُوهُ بِالتَّكْذِيبِ إِنْ كَذَبَ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٥.

قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لاَ قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ[1] أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ.

قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ[2]، يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ.

قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ.

فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي[3] بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ.

---

(١) وَالْمُرَادُ بِالْأَشْرَافِ هُنَا: أَهْلُ النَّحْوَةِ وَالتَّكَبُّرِ مِنْهُمْ، لَا كُلُّ شَرِيفٍ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٥.

(٢) سِجَال: بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، أَيْ نُوَبٌ، وَالسَّجْلُ الدَّلْوُ وَالْحَرْبُ اسْمُ جِنْسٍ وَلِهَذَا جُعِلَ خَبَرُهُ اسْمَ جَمْعٍ وَيَنَالُ أَيْ يُصِيبُ فَكَأَنَّهُ شبه الْمُحَارِبين بالمستقين يَسْتَقِي هَذَا دَلْوًا وَهَذَا دَلْواً. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٦.

(٣) يأتسي: أي يتبع ويقتدي. فتح الباري – ابن حجر، جـ ١ صـ ٧٩.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ.

وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ[1] القُلُوبَ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لاَ يَغْدِرُ. وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ.

وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ. فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ

أَنَّهُ خَارِجٌ ولَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ[2] إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ[1]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ. ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) تخالط بشاشته القلوب: أَيْ يُخَالِطُ الْإِيمَانُ انْشِرَاحَ الصُّدُورِ، وَهُوَ شَرْحُهُ الْقُلُوبَ الَّتِي يَدْخُلُ فِيهَا. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٧.

(٢) أخلص: بضَمّ اللَّامِ أَيْ أَصِلُ يُقَالُ خَلُصَ إِلَى كَذَا أَيْ وَصَلَ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٧.

ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى[٢]، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ[٣] ﴿وَيَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤]، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ، وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الكِتَابِ، كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ[٥]، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ[٦] أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ[٧]، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ[١]

---

(١) تجشمت لقاءه: بِالْجِيمِ وَالشِّينِ الْمُعْجَمَةِ، أَيْ تَكَلَّفْتُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَتَحَقَّقُ أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْقَتْلِ إِنْ هَاجَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٣٧.

(٢) بُصرَى: في الشام من أعمال دمشق. معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ١ صـ ٤٤١؛ وعظيم بَصرِي تقدم أنه الْحَارِث بن أبي شمر وَالَّذِي حمل الْكتاب من عِنْد الْحَارِث إِلَى قَيْصر هُوَ عدي بن حَاتِم. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٢٩١.

(٣) الأريسيين: اختلف في ضبطها على أوجه أحدها بياءين بعد السين، والثاني بياء واحدة بعد السين، وعلى هذين الوجهين الهمزة مفتوحة، والراء مكسورة، والثالث بكسر الهمزة وتشديد الراء وبياء واحدة بعد السين، واختلفوا في المراد بهم على أقوال: الأول: وهو أصحها وأشهرها أنهم الأكارون، أي الفلاحين، الثاني: أنهم أتباع آريوس المصري، مؤسس فرقة مسيحية كان لها أثر كبير في الإصلاح الديني، الثالث: أنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها، أو المراد العشارين يعني أهل المكس. لسان العرب، ابن منظور جـ ٦ صـ ٤: ٦؛ فتح الباري، ابن حجر جـ١ صـ ٥١: ٥٢؛ شرح صحيح الإمام مسلم، النووي جـ ١٢، صـ ١٠٩: ١١١، الطبعة: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤.

(٥) الصَّخَبُ: اللَّغَطُ، وَهُوَ اخْتِلَاطُ الْأَصْوَاتِ فِي الْمُخَاصَمَةِ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤٠.

(٦) أَمِرَ: هُوَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْمِيمِ أَيْ عَظُمَ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤٠.

(٧) أَبُو كَبْشَة: بِالْفَتْحِ وَسُكُون الْمُوَحدَة بعْدهَا شين مُعْجمَة، قِيلَ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ كَانَ يَعْبُدُ الشِّعْرَى وَلَمْ يُوَافِقْهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي عِبَادَتِهَا فَشَبَّهُوا النَّبِيَّ ﷺ بِهِ؛ لِمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ كَمَا خَالَفَهُمْ أَبُو كَبْشَةَ، وَقِيلَ:

فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الإِسْلاَمَ.

وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ[٢]، سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ،أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ[٣]،فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ[٤] قَدِ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ :وَكَانَ هِرَقْلُ

إِنَّ أَبَا كَبْشَةَ جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ من قبل أمه، وَقِيلَ: هُوَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى السَّعْدِيُّ، وإنما قالوا ابن أَبِي كَبْشَةَ عَدَاوَةً لَهُ ﷺ فَنَسَبُوهُ إِلَى نَسَبٍ لَهُ غَيْرِ نَسَبِهِ الْمَشْهُورِ إِذْ لَمْ يُمْكِنْهُمُ الطَّعْنُ فِي نَسَبِهِ الْمَعْلُومِ الْمَشْهُورِ، وقِيلَ: أَبُو كَبْشَةَ عَمُّ وَالِدِ حَلِيمَةَ مُرْضِعَتِهِ ﷺ. شرح صحيح مسلم، النووي جـ ١٢صـ ١١١،١١٠؛ فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٢٢١.

(١) ملك بني الأصفر: هم الرّوم، سموا بذلك باسم جدهم الْأَصْفَر بن الرّوم بن عيص بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم، وَيُقَالُ إِنَّ جَدَّهُمْ رُومَ بْنَ عِيصَ تَزَوَّجَ بِنْتَ مَلِكِ الْحَبَشَةِ فَجَاءَ لَوْنُ وَلَدِهِ بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ فَقِيلَ لَهُ: الْأَصْفَر، وَقَالَ بن هِشَامٍ فِي التِّيجَانِ: إِنَّمَا لُقِّبَ الْأَصْفَرَ لِأَنَّ جَدَّتَهُ سَارَةَ زَوْجَ إِبْرَاهِيمَ حَلَّتْهُ بِالذَّهَبِ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ١٤٠: ١٤٤.

(٢) ابن الناطور: هُوَ بِالطَّاءِ الْمُهْمَلَةِ وَفِي رِوَايَةِ الْحَمَوِيِّ بِالظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ أي حافظ البستان، وهو لفظ عجمي تكلمت به العرب، وَكَانَ ابن الناطور سقف أَي جعل أسقفا، الْأُسْقُفُّ وَالسُّقُفُ لَفْظٌ أَعْجَمِيٌّ وَهُوَ رَئِيس النَّصَارَى. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤١؛ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني جـ ١صـ ٨١، الطبعة: السابعة، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

(٣) خبيث النفس: أَيْ رَدِيء النَّفس غَيْرُ طَيِّبِهَا أَيْ مَهْمُومًا. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤١.

(٤) الْبَطَارِقَةُ: جَمْعُ بِطْرِيقٍ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَهُمْ خَوَاصُّ دَوْلَةِ الرُّومِ، والبطريق القائد من قواد الروم، تحت يده عشرة آلاف رجل. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤١.

حَزَّاءً[١] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ[٢]، فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا اليَهُودُ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ، وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ، فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ اليَهُودِ. فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ، أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ[٣] أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ[٤] يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٥] فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٌ هُوَ أَمْ لاَ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ، فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ العَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ[٦] بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي العِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ[٧]، فَلَمْ يَرِمْ[١]

---

(١) حَزَّاءً: بِالْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ الزَّايِ آخِرُهُ هَمْزَةٌ مُنَوَّنَةٌ أَيْ كَاهِنًا، والْكَهَانَةُ تَارَةً تَسْتَنِدُ إِلَى إِلْقَاءِ الشَّيَاطِينِ، وَتَارَةً تُسْتَفَادُ مِنْ أَحْكَامِ النُّجُومِ وَكَانَ كُلٌّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ شَائِعًا ذَائِعًا إِلَى أَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فَانْكَسَرَتْ شَوْكَتُهُمْ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤١.

(٢) الختان: مَوْضع القَطْع مِنْ ذَكر الْغُلَامِ وَفَرْج الْجَارِيَةِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، جـ ٢ صـ ١٠، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م؛ ومُلْكَ الْخِتَانِ بِضَمِّ الْمِيمِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ وَلِلْكُشْمِيهَنِيِّ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِ اللَّامِ، قَوْلُهُ: قَدْ ظَهَرَ أَيْ غَلَبَ، يَعْنِي دَلَّهُ نَظَرُهُ فِي حُكْمِ النُّجُومِ عَلَى أَنَّ مُلْكَ الْخِتَانِ قَدْ غَلَبَ وَهُوَ كَمَا قَالَ؛ لِأَنَّ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ كَانَ ابْتِدَاءُ ظُهُورِ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ صَالَحَ كُفَّارَ مَكَّةَ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فتحا مُبِينًا) إِذْ فَتْحُ مَكَّةَ كَانَ سَبَبُهُ نَقْضَ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَمُقَدِّمَةُ الظُّهُورِ ظُهُورٌ. فتح الباري، ابن حجر جـ ١ صـ ٤٢.

(٣) لم يسم الرجل ولا من أرسل به. إرشاد الساري، القسطلاني جـ ١ صـ ٨٣.

(٤) غسان: بالغين المعجمة والسين المهملة المشددة والملك هو الحرث بن أبي شمر، وغسان اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه. إرشاد الساري، القسطلاني جـ ١ صـ ٨٣.

(٥) فقال هذا الرجل كما عند ابن إسحاق خرج بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي، فقد اتبعه ناس وصدقوه وخالفه ناس فكانت بينهم ملاحم في مواطن وتركتهم وهم على ذلك. إرشاد الساري، القسطلاني جـ ١ صـ ٨٣.

(٦) يسمى ضغاطر الأسقف، ورومية مدينة رياسة الروم. إرشاد الساري، القسطلاني جـ ١ صـ ٨٣.

(٧) حِمْصُ: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. معجم البلدان، ياقوت الحموي، جـ ٢ صـ ٣٠٢.

حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[٢] لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ[٣] إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ)[٤].

هذا نص الحوار وقصته، وما كان من هرقل مع أبي سفيان، وأما ما كان من شأن هرقل فإنه مازال في داخله يُعالج أمر الإيمان بمحمد ﷺ ويريد أن يؤمن ويعلن إسلامه مع الاحتفاظ بعرشه وملكه.

---

(١) فَلَمْ يَرِمْ: بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ الرَّاءِ أَيْ لَمْ يَبْرَحْ مِنْ مَكَانِهِ. فتح الباري، ابن حجر، جـ ١ صـ ٤٢.

(٢) الدسكرة: بِفَتْح الدَّال وَالْكَاف وَسُكُون السِّين الْمُهْملَة، بِناءٌ عَلَى هيئةِ القَصْرِ، فِيهِ مَنازلُ وبُيوتٌ للخَدَم والحَشَم، وَلَيْسَتْ بعَرَبيَّةٍ مَحْضةٍ، وَهِي بيُوت الْأَعَاجِم، وقيل: الدسكرة تكون للملوك تتنزه فِيهَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، جـ ٢ صـ ١١٧؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني، جـ ١ صـ ٨٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) حاصوا: أَي نفروا كحيصة حمر الْوَحْش، شبه نفرتهم وجهلهم بِمَّا قَالَ لَهُم هِرقل وَأَشَارَ إِلَيْهِم من اتِّبَاع الرَّسُول ﷺ بنفرة حمر الْوَحْش؛ لِأَنَّهَا أَشد نفرة من سَائِر الْحَيَوَانَات، وَيضْرب الْمثل بِشدَّة نفرتها، وَقَالَ بَعضهم: شبههم بالحمر دون غَيرهَا من الوحوش لمناسبة الْجَهْل فِي عدم الفطنة بل هم أضلّ. عمدة القاري، البدر العيني، جـ١ صـ ٩٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقول الله جل ذكره (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، جـ ١ صـ ٨ رقم: ٧ واللفظ له، ومسلم كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام جـ ٤ صـ ١٣٩٣، رقم ١٧٧٣.

المبحث الثاني

(الدروس الدعوية في جانب الداعي)

تمهيد:

الداعي إلى الله: هو القائم بالدعوة ، وتأتي الهاء في آخره للمبالغة، فيقال عمن عُرف بالدعوة (داعية)[١] وهو اسم فاعل من دعا يدعو إلى الشيء وللشيء: حث عليه، ودعا إلى الله: حث على عبادته.

والداعي إلى الله عز وجل له شرف ومنزلة عالية؛ لإضافته إلى الله تعالى يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

والداعي إلى الله تعالى في الاصطلاح هو: (المبلغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه)[٣]. فيشمل من قام بأعمال الدعوة كلها أو بعمل من أعمالها.

وعُرِّف في الاصطلاح أيضاً بأنه: (هو الذي يحاول دعوة الناس بالقول والعمل إلى الإسلام، وإلى تطبيق منهجه، واعتناق عقيدته، وتنفيذ شريعته)[٤].

وقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير، والفضل العظيم والثواب الجزيل، فقد قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، جـ ١ صـ ٢٨٧، دار الدعوة.

(٣) سورة فصلت: آية رقم ٣٣.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، صـ٤٠، الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٤) الدعوة قواعد وأصول، جمعه أمين عبد العزيز، صـ ٢٤، طبعة دار الدعوة للطبع والنشر.

الإثم مثل آثام من تبعه، لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئاً» [1]، إلى غير ذلك من أحاديث تبين ثواب الداعية وأجره.

فالداعية: هو محور الدعوة الذي لا تستغني عنه بحال من الأحوال، فلا يتصور دعوة بغير دعاة.

ويمكن استخراج الدروس الدعوية من هذا الحوار مما يتعلق بالداعي، وذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: اختيارُ الداعيةِ من أشرافِ الناس:

ففي الحوار سأل هرقل أبا سفيان: **(كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟)** فرد أبو سفيان قائلاً: **(هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ)، فَقَالَ هرقل لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا)**

أى إن الرسل–عليهم السلام– يبعثون من الأسر الشريفة الكريمة، والنبي ﷺ ذو نسب عظيم جليل رفيع كريم من خير بيوتات قريش.

فلو كان نسبه ﷺ نازلاً لما كان في هذا منقصة عند الله، لكن قد يُحَقَّر عند بعض أهل الأرض، فحتى لا يكون فى النبىﷺ مطعن فإنه يُخْتَار ويكون خياراً من خيار من خيار.

وإذا كان الإسلام قد حارب العصبية القبلية فإنه لم يلغ تفاضل القبائل في الشرف، والنبي ﷺ صاحب نسب عظيم، وأصل عريق في قومه؛ لأنّه من بني هاشم ذروة قريش، وأكرمها نسباً وحسباً، ومن ذلك قوله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، جـ ٤ صـ ٢٠٦٠ رقم ٢٦٧٤ عن أبي هريرة، والترمذي في سننه كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى، جـ ٥ صـ ٤٣، رقم ٢٦٧٤، عن أبي هريرة، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » [(١)].

فهو من تلك الأسرة الهاشمية التي عرفت منذ الجاهلية بكريم الخصال، ومن ذلك النسب الطاهر الشريف، الذي صانه الله تعالى من سفاح الجاهلية.

وفي رواية عِنْدَ الْبَزَّارِ قال هرقل لأبي سفيان: (حَدَّثَنِي عَنْ هَذَا الَّذِي خَرَجَ بِأَرْضِكُمْ مَا هُوَ ؟ قَالَ: شَابٌّ، قَالَ : فَكَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قَالَ : هُوَ فِي حَسَبٍ مِنَّا، لا يَفْضُلُ عَلَيْهِ أَحَدٌ)[(٢)].

إنَّ اختيار الداعي إلى الله تعالى من أشراف الناس أمرٌ له أهميته، إذ هو أدعى لقبول دعوته، وذلك أن الناس جبلوا على الانقياد للأشراف وطاعتهم أكثر من غيرهم، كما أنهم أبعدُ عن تدنيس أنسابهم بما لا يليق، قال القاضي عياض–رحمه الله–: (ولأن ذوى الأحساب أحفظ على تدنيس أحسابهم بما لايليق بهم)[(٣)].

(١) أخرجه مسلم في صححه بسنده عن واثلة بن الأسقع كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة جـ ٤ صـ ١٧٨٢ ، رقم ٢٢٧٦، والترمذي في سننه أبواب المناقب، باب في فضل النبيﷺ جـ ٥ صـ ٥٨٣، رقم ٣٦٠٦.

(٢) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين الهيثمي، كِتَابُ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ بَابٌ فِيمَا كَانَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ عَلامَاتِ نُبُوَّتِهِ جـ ٣ صـ ١١٧، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، القاضي عياض، جـ ٦ صـ ١١٩، الطبعة: الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

وقال الإمام النووي–رحمه الله–: قَوْلُهُ (وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا) يَعْنِي فِي أَفْضَلِ أَنْسَابِهِمْ وَأَشْرَفِهَا، قِيلَ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ انْتِحَالِهِ الْبَاطِلَ وَأَقْرَبُ إِلَى انْقِيَادِ النَّاسِ لَهُ)[1].

فاللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَصْطَفِي لِرِسَالَتِهِ مَنْ كَانَ خِيَارَ قَوْمِهِ حَتَّى فِي النَّسَبِ، وفي حديث جعفر بن أبي طالبﷺ بين يدي النجاشي قال:(فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه...)[2].

وليس معنى اختيار الداعية من أشراف الناس أن يكون زعيما لقبيلة أو رئيسا لعشيرة, ولكن أن يكون في قومه صاحب نسَب طيّب، ومعروف الأصل، وتلك حكمة عظيمة، حتى لا يكُون دخيلاً أو مدَّعياً يطلب الشهرة والصيت من دعواه، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية، وما أكثر الدخلاء والأدعياء الذين أساءوا إلى الدعوة إلى الله تعالى!!

وفي ضوء ما سبق كان من حكمة الباري تعالى أن بعث نبيه ﷺ في نسبٍ من قومه، بل كان ﷺ خيرهم نسبا.

وقد شهد المشركون أنفسهم بشرف النسب للنبي ﷺ قال عتبة بن ربيعة: (يابن أخي! إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب)[3].

وكلما كان الداعية إلى الله، أو المصلح الاجتماعي في شرف من قومه، كان ذلك أدعى إلى استماع الناس له، فإن من عادتهم أن يزدروا بالمصلحين والدعاة إذا كانوا من بيئة مغمورة، أو نسب وضيع، فإذا جاءهم من لا ينكرون

(١) شرح مسلم، النووي، جـ ١٢ صـ ١٠٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام جـ ٢ صـ ١٧٩.

(٣) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٣٠.

شرف نسبه، ولا مكانة أسرته الاجتماعية بينهم، لم يجدوا ما يقولونه عنه إلا افتراءات يتحللون بها من الاستماع إلى دعوته، والإصغاء إلى كلامه، فاختيار الدعاة من أشراف الناس يسد على أعدائهم باب القدح فيهم والتنقيص لهم، فلا يجد أعداؤهم سبيلا إلى إلصاق العيوب بهم.

ومن أسباب نجاح الداعية أن يكون ذا نسب كريم لأن الأسرة التي ينشأ فيها والأصل الذي ينحدر منه يترك فيه أثراً بيناً من ناحية الفكر والأخلاق، وهذا أمر عرف بالتتبع والاستقراء لسير الدعاة، فكثير منهم نشأوا في أسر معروفة بالتدين، وليست هذه قاعدة مطردة ثابتة، فقد نجد عالماً من العلماء من غير أسرة دينية، وقليل ما هم.

ومعلوم أن الإسلام لا يقيم وزنا لشرف الأنساب تجاه الأعمال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الذي يجمع بين شرف النسب وشرف الفعل أكرم وأعلى مكاناً وأقرب نجاحا، فعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: « أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: « فعن معادن العرب تسألونني؟» قالوا: نعم، قال: « فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» (١).

(والمراد بالخيار، في قوله (خيارهم) وبقولنا (شريف) من كان متصفا بمحاسن الأخلاق، متوقيا لمساويها فالشرف في الإسلام يكون بالخصال المحمودة شرعا)(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى:﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ جـ ٣ صـ١٢٢١، رقم ٣١٧٥.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د/ موسى شاهين لاشين جـ ٩ صـ ٥٦٥، الطبعة: الأولى، دار الشروق، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

فقد كان العرب في الجاهلية يتفاخرون بالأنساب بالدرجة الأولى، ثم تأتي الفضائل في الدرجة الثانية، فلما جاء الإسلام كانت الفضيلة الأولى، التي يفاخر بها هي الإسلام والتقوى، ونُحيت الأنساب عن التفاخر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

وأكد هذا المعنى رسول الله ﷺ حين قال: « إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»(٢).

لقد حول الإسلام مقاييس الناس، لكنه لم يغفل الحسب في الموازين، وإنما جعله مكملا مُجمِّلا لفضيلة الإسلام، واعتبره وسيلة لا غاية، وتابع لا أصل، (ولما استقر مبدأ التفاضل بالدين، وأُمن من عدم مزاحمة الأنساب له، أعطيت قدرها، وظهرت في ساحة التفاخر، فالناس معادن، شعوب لها أصالة ومكارم متوارثة من جيل إلى جيل تفضل شعوبا، ومن داخل كل شعب قبائل أو بطون، لها أخلاق وعادات حميدة متوارثة من جيل إلى جيل تفضل قبائل أو بطونا، ومع أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، لكن القرآن والعلم يرفع من لم يرفعه نسبه إذا صانه صاحبه)(٣).

فالأصول والأحساب كالمعادن في اختلافها من نفيس إلى خسيس، فالمعدن النفيس في باطن الأرض نفيس، فإذا استخرج بقيت نفاسته وظهرت.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه أبواب المناقب، جـ ٥ صـ ٧٣٤، رقم ٣٩٥٥، عن أبي هريرة ﷺ، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د/ موسى شاهين لاشين جـ ٩ صـ ٨٤ .

ولم يكن النبي ﷺ بحاجة إلى بيان نسبه، وعلو مكانته فيهم، وإنما لما يعلم أن لذلك آثاراً سيئة على قبول دعوته عند العرب، لأن الانساب عندهم في قمة الفضائل، ومن هنا قطع الطريق على الذين يعملون ضد الدعوة الإسلامية، ولا شك ان لهذه المكانة والشرف في قومه أعظم الأثر في نجاح الدعوة، وقبول دعوته وإقبال الناس عليه.

قال الإمام الماوردي[1]- رحمه الله-: (وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا، ليس في آبائه خامل مسترذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة)[2].

وهكذا ينبغي أن يكون اختيار الدعاة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: التجديد والتحرر عن التقليد:

جاء في الحوار: **(...وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا القَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا القَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ).**

فلم يحْدث أنْ قام أحدُ من أبناء مكة أو قريش بادِّعاء النبوَّة، حتى يقلِّده النبي ﷺ فيما يقول، فهو ﷺ أول مَن دعا بالنبوة في قومه، ولو كان قال هذا القول أحد قبله؛ لكان يقتدي بقول قيل قبله، فإدعاء النبوة لم يكن أمراً فاشياً فيهم ومنتشراً بينهم، بمعنى أنه لم يكن يظهر كل فترة واحد منهم يدعى النبوة،

(١)علي بن مُحَمَّد بن حبيب، أقضى القضاة، أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي، صاحب التصانيف المليحة الجيدة، ولي القضاء ببلدان كثيرة، ثم سكن بغداد، ودرس بالبصرة سنين كثيرة، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، كان عظيم القدر متقدما عند السلطان، نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد سنة خمسين وأربعمائة. الوافي بالوفيات، الصفدي جـ ٢١ ص ت٢٩٧، الأعلام، للزركلي، جـ ٤ صـ ٣٢٧، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

(٢) أعلام النبوة، الماوردي، صـ ٢٣٣، تحقيق: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.

فهرقل يقول لأبي سفيان لو كان هذا فاشياً منتشراً؛ لقلنا إنه يسير على شاكلة المتنبئين الكذابين، وأنتم ما تعلمون أحداً ادعى النبوة ولا الرسالة قبل محمد ﷺ، إذن هو نبي أتى بنبوة صادقة، وليس هذا من باب تقليد المتقدمين، إذ لم يَدَّعِ أحدٌ قبله ﷺ أنه نبي.

يُفهم من هذا: أن النبي ﷺ لم يقلد غيره في دعوى النبوة، إذ لم يكن قبله في بيئته من ادعاها، كما أنه لم يكن بِدَعاً من الرسل السابقين قبله، إذ هو مكمِّلٌ للبناء الذي شيدوا أركانه، ومصدِّقٌ لأصول دعوتهم، ومجدِّدٌ لما جاءوا به من شرائعَ وأحكامَ.

والداعي إلى الله على درب النبيﷺ يسير، فلا يكون مقلداً جامداً، فالذي لا يسأل عما يقرأ أو يسمع من آراء ولا يبحث عن الدليل من الكتاب والسنة فهو مقلد.

والقرآن الكريم دعا إلى تحرير العقل، ونبذ التقليد، وبيَّن أن العقلية العلمية هي التي ترفض الجمود على ما كان عليه الآباء والأجداد، فليس من العقول أن يفكر لنا الأموات ونحن أحياء، وأن يلزمنا الأقدمون بنتائج عصور مضت.

فالقرآن حذَّر من التقليد والجمود على رأي خاص دون فكر متفتح أو مناقشة لهذا الرأي، أو أن يدلي صاحب الحجة بحجته، ونفَّر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم دون استعمال العقل، وأنكر على من أغلقوا عقولهم وأهملوا أفكارهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

([1]) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

([2]) سورة الأعراف: الآية ٢٨.

وفي القرآن آيات كثيرة تخاطب أولى الألباب وأولي النهى، وفيه أفلا يعقلون، وأفلا يتفكرون، وأفلا يتدبرون، فآيات كثيرة منها تخاطب العقل وتستحثه وتستثيره، وعلى هذا فالإسلام يرفض العقلية المقلدة ويؤكد على تكوين العقلية المتحررة التي لا يقوم العلم إلا على عاتقها، كذا ورد ما يدل على ذم التقليد في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[1].

إن المقلدين بإصرارهم على التقليد يخرجون عن منطق الحياة وسنن الكون، فإنهم بذلك قد ادعوا أن الله قد رفع ما تفضل به على من قبلهم من الأئمة من كمال الفهم وقوة الإدراك والاستعداد للمعارف، وهذه دعوى من أبطل الباطلات، بل هي جهالة من الجهالات؛ لأن المشاهَد والمعروف أن الناس يتقدمون جيلاً بعد جيل في المعارف والعلوم، يقول الإمام الشوكاني[2] – رحمه الله–: (فإن نهاية العالم ليست كبدايته، بل هو سائر في طريق التطور والكمال والنضج العقلي، عن طريق ازدياد المعارف وتطورها)[3].

(1) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني(١١٧٣-١٢٥٠هـ =١٧٦٠-١٨٣٤م): فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ ومات حاكما بها، وكان يرى تحريم التقليد). الأعلام – الزركلي جـ ٦ صـ ٢٩٨، البدر الطالع – الشوكاني جـ ٢ صـ ٢١٤.

(3) إرشاد الفحول، الشوكاني، جـ ٣ صـ ٣٠٧، تحقيق مُحَمَّد سعيد البدري أبومصعب، دار الفكر، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

التجديد المنشود في مجال الدعوة إلى الله:

لاشك أن الدعوة إلى الله تتطلب تنوعا في الوسائل، وتجديداً في أساليب الطرح، وابتكاراً في كيفية العرض؛ للوصول إلى المدعو، وإيصال الدعوة إليه، أو جذبه هو إليها.

والمطلوب هو تجديد الخطاب الدعوي، وليس تجديد الدين، وهو تجديد لا يفرّغ النص من مدلوله ومحتواه، ولا يلوي أعناق النصوص؛ لتوافق الأهواء والمزاعم، ولا يتخذ التأويل ذريعة لتحريف النصوص وتمييع الأحكام، فالتجديد يكون في الأسلوب ومنهجية العرض، لا في صلب الدين ومحتواه، ولا في مصطلحاته، فلا تجديد في الأحكام والمفاهيم الواردة في الكتاب والسنة، فأركان الإسلام ثابتة، وأركان الإيمان ثابتة، وإنما التجديد في وسائل الطرح الدعوي وأساليبه، ومراعاة أحوال المتلقين وظروفهم مكاناً وزماناً.

وهذا من الإبداع والابتكار: بمعنى إنتاج أفكار جديدة في الوسائل والأساليب، أو تطوير فكرة قديمة ينتج عنها شيء جديد متميز ومفيد.

المطلب الثالث: الداعي إلى الله لا يطلب ملكاً ولا وجاهة:

جاء في الحوار: **(وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ)**

إن رسل الله– صلوات الله عليهم– أكمل الخلق إيماناً وعلماً وعملاً، وهم هداة الناس إلى كل خير، وقادة الأمم إلى ما فيه صلاحهم، وأكد القرآن الكريم أن الاستجابة للرسل لا تتأتي من مغريات مادية، ولا جاه عريض أو لقب كبير، فليسوا يملكون مالاً يوزعونه على المدعوين، وليست لهم خزائن الأرض،

وقد نفى القرآن عن أغلبهم تلك المغريات، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(١).

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ:﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

وقد يؤتي الله بعض رسله من خزائن الأرض ما شاء، كما آتى سليمان بن داود عليهما السلام، قال الله تعالى:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(٣).

فالأنبياء يبذلون ويعطون من جهدهم وأوقاتهم وأنفسهم وأموالهم، ولم يسألوا الناس جزاء لذلك، بل كان قولهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤).

وأورد القرآن الكريم مقولة الرباني الصالح مؤمن سورة يس: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(٥).

فالنبي ﷺ لم يكن يطمح إلى الملك، والسيطرة على مقاليد الأمور، ولم يضع لنفسه خطة تعتمد على تجميع الناس من حوله، والتغرير بهم من منطلق هذا الدين الجديد.

---

(١) سورة هود: من الآية ٣١ .

(٢) سورة الأنعام: الآية٥٠ .

(٣) سورة النمل: الآيتان ١٦، ١٧.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٠٩.

(٥) سورة يس: الآية٢٠ .

ولقد عُرض على النبي ﷺ الملك بمكة فرفض إلا المضي في الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك والأوثان، فحين أقلق قريشاً أمرُ رسول الله أرسلت إليه عتبة بن ربيعة، فأتى رسول الله ﷺ فقال:(فَقَالَ يَا ابْنَ أَخِي، إنّك مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السّطَةِ[1] فِي الْعَشِيرَةِ وَالْمَكَانِ فِي النّسَبِ وَإِنّك قَدْ أَتَيْت قَوْمَك بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَرّقْت بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفّهْت بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْت بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفّرْت بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ فَاسْمَعْ مِنّي أَعْرِضْ عَلَيْك أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلّك تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ أَسْمَعْ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إنْ كُنْت إنّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوّدْنَاك عَلَيْنَا حَتّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَك، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلّكْنَاك عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيك رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدّهُ عَنْ نَفْسِك طَلَبْنَا لَك الطّبّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ غَلَبَ التّابِعُ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، حَتّى إذَا فَرَغَ عُتْبَةُ وَرَسُولُ الله ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ ﴿ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ كِتَابٌ فُصّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنّةٍ مِمّا تَدْعُونَا إلَيْهِ ﴾[2] ثُمّ مَضَى رَسُولُ الله ﷺ فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ثُمّ انْتَهَى رَسُولُ الله ﷺ إلَى السّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمّ قَالَ قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ فَأَنْت وَذَاكَ)[3].

(١) وسُطَ وَساطةً وسِطةً ووَسَّطَ تؤسِيطاً؛ وَفُلَانٌ وسِيطٌ فِي قَوْمِهِ إذا كَانَ أَوسطَهم نسَباً وأَرْفعَهم مَجْداً . لسان العرب جـ ٧ صـ ٤٣٠.

(٢) سورة فصلت: الآيات ١، ٤.

(٣) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ٢ صـ ١٣١.

وروى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس ﷺ أنه اجتمع نفر من قريش وعرضوا على رسول الله ﷺ عرضاً قريباً من عرض عتبة ومقالته لرسول الله ﷺ فأجابهم ﷺ بقوله:(ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليَّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالات ربّي، ونصحت لكم؛ فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظّكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم...)[1].

ومما سبق يظهر ما يلي:

أولًا: اتصاف رسول الله ﷺ بالثبات، وعدمِ تقديم أيَّة تنازلات ينفي قطعا رغبته في الملك؛ إذ إن من صفات السياسيين أن يدوروا في فلك مصالحهم الشخصية، وما يقتضيه ذلك من الاتصاف بالمرونة في التنازل عن بعض الثوابت أو شيء من المبادئ.

ثانيًا: لو أن رجلًا نشأ في بيت زعامة سياسية وملك، لا شك ستؤثر هذه النشأة في شخصيته وتكوينه، وستظهر فيه سمات النفس القيادية؛ فالإنسان ابن بيئته كما يقولون، وإذا نظرنا في سيرة الرسول ﷺ ونشأته، وجدنا أنه قد كان متواضعًا خفيض الجناح، راعيًا للغنم، وانظر وتأمل هذا قول النبي ﷺ لمَّا رأى رجلًا مقبلًا، يرتعد رهبةً منه، فقال له: « هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِن قُرَيشٍ كَانَت تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»[2].

([1]) المرجع السابق جـ ١ صـ ١٣٢، ١٣٣.

([2]) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب المغازي والسرايا جـ ٣ صـ ٥٠ رقم: ٤٣٦، عن أبي مسعود وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١١هـ ١٩٩٠م.

ثالثاً: إن الملوك المعاصرين للنبي ﷺ، كانوا مدركين لطابع النبوة في شخصيَّته، ويتضح هذا من خلال مواقِفِهم التي اتخذوها تجاه هذه الدعوة الجديدة، واعترافاتِهم التي سجَّلوها في هذا الصدد، وأقرب مثال على ذلك: موقف هرقل حين قال: (لو كان مِن آبائه ملِك، قلتُ: رجل يطلب ملك آبائه).

رابعا: لو كان المُلْكُ غايتَه، لكان في عرض قريش له أن يجعلوه ملكًا طريقٌ مختصرٌ لهذه الغاية، لكنه أبى ذلك، وتمسَّك بمبدأ نبوته.

وقد وُجد في تاريخ المدَّعِين للنبوة نموذج لرجل ادَّعى النبوة ليجعلها سببًا في الملك والزعامة، هذا الرجل هو مسيلمة بن ثمامة[1]، المعروف بمسيلمة الكذاب، وكان ادعاؤه للنبوة للوصول إلى السلطة أمراً لا يمكن أن يخفى على عقلاء الناس، ولا أن يلتبس على عامَّتهم، فعندما جاء إلى النبي ﷺ قبل أن يَدَّعي النبوَّة، اشترط أن يكون له الأمر بعد النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: قَدِمَ مسيلمة الكذابُ على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إنْ جَعل لي محمدٌ الأمرَ مِن بعده، تبعتُه)[2].

وبعد أن ادَّعى النبوَّة كتب إلى النبي ﷺ مِن مسيلمة –رسول الله– إلى محمد –رسول الله– أما بعد؛ فإني أُشركت في الأمر معك، وإن لنا نصفَ الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشًا يعتدون[3].

---

(1) مُسَيْلِمَة الكَذَّاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة)، ولد ونشأ باليمامة، بوادي حنيفة، في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعُرف برحمان اليمامة. الأعلام، الزركلي جـ ٧ صـ ٢٢٦.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، جـ ٣ صـ ١٣٢٥، رقم ٣٤٢٤.

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٥ صـ ٣٠٣.

فمسيلمة قد اتضح قصده من خلال مواقفه وكلامه، فأين هذا من رسول الله ﷺ الذي شهد له معاصروه بنبوته ورسالته؟ إن ذلك مما لا يخفى على كل منصف عاقل.

وخلاصة القول أنَّ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وهم قدوة للدعاة إلى الله في سائر العصور ما جاءوا لإسقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكاً، ولا ينظّمون لذلك أحزاباً، وإنّما جاءوا لهداية النَّاس، وإنقاذهم من الضلال والشرك، وإخراجهم من الظلمات إلى النور وتذكيرهم بأيَّام الله.

ولذا فإن التفاف الناس حول الداعية يكون بسبب أخلاقه وأعماله وارتباطه بالله تعالى، لا يريد جزاء ولا شكوراً، فهو لا يجمع الأتباع بالمغريات المادية، أو بالمناصب يوزعها عليهم، ولا بالمداهنة، فهذه أمور سرعان ما ينكشف زيفها ومن ثم تنفض الجموع من حول من يعتمدها وسيلة في جمع الأتباع.

إن الدعاة حينما لا يطلبون من الناس أجراً على دعوتهم فإنهم يغلقون الباب أمام المتربصين الذين يقولون للناس إن هؤلاء الدعاة طلاب دنيا، فإذا أغلق هذا الباب وسد في وجه هؤلاء ما استطاع أحدهم أن يجد مسلكا للطعن في الدعاة الصادقين، أو التشكيك في إخلاصهم وتجردهم لله عز وجل، يقول الإمام الفخر الرازي[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[2] ما نصه: (كأنه عليه الصلاة والسلام قال لهم: إنكم لما نظرتم إلى ظواهر الأمور وجدتموني فقيرا وظننتم أني إنما اشتغلت بهذه الحرفة

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، توفي سنة ست وستمائة) الوافي بالوفيات – الصفدي جـ ٤ صـ ١٧٥.

(٢) سورة هود: الآية ٢٩.

لأتوسل بها إلى أخذ أموالكم وهذا الظن منكم خطأ فإني لا أسئلكم على تبليغ الرسالة أجرا إن أجري إلا على رب العالمين فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدين بسبب هذا الظن الفاسد)[1].

والمتأمل في أيامنا هذه يرى ويسمع توجيه الاتهامات بين الحين والآخر للدعاة بأنهم طلاب دنيا، وراغبي رياسة، وعشاق مال، وأهل الباطل يقعدون لدعاة الحق كل مرصد؛ ليصدوا الناس عن دعوة الحق، ويردوهم في غياهيب الضلالات، ويروجون من أجل ذلك الأكاذيب، ويثرون الشبهات على الدعاة، من أجل ذلك كان لزامًا على الدعاة إلى الله أن لا يعطوهم الفرصة لإثارة مثل هذه الشبهات التي تنطلي على عقول كثير من العوام والبسطاء، وأن يكشفوا عن بعض من يسيء إلى الدعوة والدعاة من الأدعياء المنتسبين زورا إلى الدعوة إلى الله تعالى.

لذا وجب على الدعاة إلى الله إزاء هذه الهجمة أن يتحلوا بالتعالي على متع الحياة، وأن تكون نفوسهم أعلى من أن تستميلها أمور الدنيا، فيكفيهم من هذا ما يسد الخلة، وتنقضي به الحاجة وتحفظ به النفس من الاستشراف والتطلع إلى ما عند الناس، ولست أعني أن الداعي يجب أن يعيش معدماً صفراً، ولكن أعني أن يكون عالي النفس عزيزا.

(1) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي جـ ١٧ صـ ٣٣٩، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

المطلب الرابع: اتصافُ الداعية بمكارمِ الأخلاقِ، والبعدُ عن رذائلِها:

إن اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق هو عنوان دعوته، وسبب انتشارها، فهذا رسول الله ﷺ شهد له الأعداء باتصافه بالصدق، والعفاف، والصِّلة، وغيرها من مكارم الأخلاق، ونفوا عنه رذائلها من الكذب والغدر وغيرهما، وأقروا له بالفضل قبل أن يؤمنوا به، ومن يستقرئ تاريخ الأنبياء يجد أنهم قد امتازوا بسلامة الفطرة، وأنهم احتلوا القمة السامقة في الأخلاق الفاضلة الكريمة، كل هذا شاهد صدق على أن النبي صادق فيما جاء به من عند ربه، وقد استدل بهذا بعضٌ من الرجال والنساء على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، فقد استدلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بأخلاق النبي ﷺ قبل البعثة على صدق نبوته، فحين قال لها النبي ﷺ « لقد خشيت على نفسي» قالت : كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.[1]

وهنا ذكرت له خديجة – رضي الله عنها – ما تنفي به عنه أن يكون قد عرض له عارض سوء بأنه كان مجبولا على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم.

واستدل به أيضا هرقل لما سأل أبا سفيان عن أخلاق النبي ﷺ وأخبره بها ما كان من هرقل إلا أن قال: (فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ)

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ جـ ١ صـ ٤ رقم ٣ .

(والوجه في كون ذلك دالاً على النبوة أنه إذا عُرف المدعي بصدق القول، وكرم الأخلاق، وكمال العقل وطهارة المنبت والبيت، فإن اجتماع ذلك لشخصه دليل على صدقه في دعوى الرسالة)[1].

تلك الأخلاق تجعل قلوب الناس تتعلق بالداعية، حتى يستأمنه الناس على أموالهم وأسرارهم وودائعهم، فسمعة الداعي تسبق إلى الناس، فيفتح بها قلوبهم لقبول دعوته، ومن تلك الأخلاق التي ينبغي على الداعية التزامها والتحلي بها مما جاء في الحوار ما يلي:

١ – الصدق وترك الكذب:

جاء في حوار هرقل وأبي سفيان: **(قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ .... وَسَأَلْتُكَ، هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ)**

فإذا كان مشركو العرب يرون أن الكذب مما يخدش الشرف في عرفهم، ويُعاب عليه الإنسان، فكيف يكذب المسلم الذي أُمِر بمحاسن الأخلاق، والبعدِ عن سيّئها، وكيف يكذب الداعية وهو محط أنظار الناس،

(١) في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د/ محي الدين الصافي وآخرون، ص ١١٦ طبعة جامعة الأزهر.

وموضع القدوة لهم، يقول الإمام الكرماني[1] – رحمه الله – في قول أبي سفيان: (فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ) معناه لولا الحياء من أن رفقتي يروون عني ويحكون عني في بلادي كذبا فأعاب به لأن الكذب قبيح وان كان على العدو لكذبت، ويعلم منه قبح الكذب في الجاهلية أيضا)[2].

وقد جعل هرقل قوم أبي سفيان وراء أبي سفيان، وليس أمامه لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، فيكذبوه دون أن ينظروا في وجهه، يقول أبو سفيان: (فوالله لولا الحياء من أن يأثِروا –ينقلوا– عليَّ الكذب لكذبت عليه) وهذا دليل على أن الكذب في الجاهلية كان مذمة يُستحى منها، وربما كان أبوسفيان يضمن أنهم لو كانوا وراءه لن يكذبوه؛ لأنهم مشتركون في عداوة النبي ﷺ لكن الذي منع أبا سفيان من الكذب ألا يُنقَل عن سيد قريش إذا رجعوا أنه كَذَب.

فالعلم بأن محمدا ﷺ كان صادقا معروفا بالصدق لا يكذب هذا موضع اتفاق من الذين جربوه من أعدائه وغيرهم، إذ كانوا متفقين على أنه صادق أمين، فأبو سفيان أخبر أنه –هو وغيره من قريش– لم يكونوا يتهمونه بالكذب فضلا عن أن يخبروا عنه بالكذب.

---

(1) مُحَمَّد بن يُوسُف بن علي الكرماني، ثمَّ البغدادي، ولد فِي جُمَادَى الْآخِرَة سنة سبع عشرَة وَسَبْعمائة، وَأخذ عَن جمَاعَة بِبَلَدِهِ، واستوطن بَغْدَاد وَدخل الشَّام ومصر، وسمع البخاري بالجامع الْأَزْهَر، قَالَ ابْن حجر: تصدى لنشر الْعلم بِبَغْدَاد ثَلَاثِينَ سنة وَكَانَ مُقبلا على شَأْنه لَا يتَرَدَّد إِلَى أَبنَاء الدُّنْيَا قانعا باليسير ملازما للْعلم متواضعاً، وَتوفى مرجعه من الْحَج فِي محرم سنة سِتّ وَثَمَانِينَ وَسَبْعمائة. البدر الطالع، الشوكاني جـ ٢، صـ ٢٩٢.

(2) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، جـ ١صـ ٥٥، الطبعة الثانية, دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

واستنبط هرقل من إجابة أبي سفيان أن النبي ﷺ صادق لا يكذب فقال: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وكان هرقل دقيقا فلم يقل هل كان يكذب؟ إنما قال: هل تتهمونه؟ لأنه إذا انتفت التهمة فالكذب منفى من باب أولى، فقال فقد كنت أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، يعنى لبس فيكم عمراً طويلا، أربعين سنة قبل البعثة وما جربتم عليه كذباً قط، هل يليق بهذا الصادق الأمين أن يترك الكذب على الناس ثم يكذب على رب الناس، هذا لا يمكن أن يصدق بحال من الأحوال.

وهرقل هنا يمثل دور المستقبل الذي يشترط الصدق في المصدر، فهذا أبو سفيان –وكان لما يسلم– يشهد للنبي ﷺ بعدم الكذب بل بعدم التهمة به.

وهذا عمُّهُ أبو طالب مع بقائه على الشرك، يُصرِّح بعلمه وتحققه نبوة محمد ﷺ وصدقِه، فيقول في لاميَّته: (لقد علموا أنَّ ابننا لا مكذَّبٌ ... لدينا ولا يُعنى بقول الأباطل)[1].

فشتان بين الكاذب الدعي والنبي الصادق، فالدعي الكاذب تفضحه أخلاقه وتكشفه جرائمه، أما النبي الصادق فتلوح عليه علامات الصدق وتزينه الأخلاق الحسنة ويجافيه سيئها.

وقد كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا جمع الله له من أوصاف المدح والثناء ما تفرق في غيره، وصانه الله تعالى وحفظه من أدنى وصف يعاب صاحبه، فلم يستطيع أعدائه الذين يتربصون به ويقفون في طريق دعوته مؤذين له محذرين منه تحصيل شيء يعيبونه به، وقد شهدوا بصدقه وأمانته

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٢ صـ ١١٥ .

وهما الغاية من الأخلاق، ومما حفظ لنا التاريخ أنه ﷺ اشتهر بالصدق والأمانة، وكانوا يلقبونه بالصادق الأمين.

وكان رأيهم هذا يعد إجماعاً منهم فيه ﷺ ، يؤيد قول النبي ﷺ لهم: « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟» قَالُوا : مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا[1].

لأن صدق النبي ﷺ لا يُعلم من جهة المعجزات فحسب ، بل يعلم من أحواله وأقواله وأفعاله ، فكلها تدل على صدقه.

كما شهد أمية بن خلف وزوجته قائلاً كلٌ منهما: (فوالله ما يكذب محمدٌ إذا حدث)[2].

لقد قالوا ذلك مع شدة عداوتهم له ﷺ والصدق له أثره في كلام الداعي، وسمته، ولهجته، وحرارة عاطفته، فيؤثر ذلك في المدعوين، ويترك فيهم انطباعاً عميقاً بمصداقية الفكرة التي يدعو إليها ويؤمن بها.

ولقد كان النبي ﷺ يحدث الذين يلقونه أول مرة فيقولون: والله ما هذا بوجه كذاب ولا كلام كذاب. كما كان من الحبر عبد الله بن سلام ﷺ[2] فإنه ما إن رآه عند مقدمة المدينة حتى استيقن صدقه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير سورة المسد جـ ٤ صـ ١٩٠٢ رقم ٤٦٨٧، عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام جـ ٣ صـ ١٣٢٨ رقم ٣٤٣٣ .

فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ» [1].

فالماضي المشرف الناصع البياض للداعية يعينه على توصيل دعوته للناس وقبول المدعوين لها، وله في رسول الله ﷺ المثل الأعلى، فقد مكث ﷺ في قومه أربعين سنة قبل البعثة يعاشر قومه ويشاركهم في معالي الأمور، أما فيما سوى ذلك من لهو أو عبث أو غير ذلك فلم يشاركهم فيه، فكان مشهورا بينهم بحسن الخلق وجميل الصفات وعظيم الفضائل وما جربوا عليه كذبا قط، وما استطاع واحد منهم أن يعيبه بخلق ذميم أو صفة قبيحة بل كانوا يشهدون له بالصدق والأمانة، فلما بعث ﷺ لم يجد قومه في ماضيه ما يعارضون به دعوته .

والداعية إذا أراد القبول لما يدعو إليه، وكسب المدعوين؛ عليه أن يكون صادقا في قوله وفعله وقصده، ومع الله ومع نفسه والناس.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جـ ٤ صـ ٦٥٢ رقم ٢٤٨٥ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢- **الوفاء بالعهد وعدم الغدر.**

جاء في الحوار : **(قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ ... وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لاَ يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ).**

إن الله تعالى نشَّأ نبيه ﷺ نشأة صالحة، وأنبته نباتا حسناً، متحلياً بكل خلق كريم، بعيداً عن كل وصف ذميم، شهد له بذلك موالوه ومعادوه، ولكن من لم يشأ الله هدايته تعامى عن هذا كله وأظهر خلاف ما يبطنه كبراً وحسداً، وفي توفيق الله لنبيه ﷺ للاتصاف بالصفات النبيلة والسلامة من الأخلاق الرذيلة قطع لألسنة أعدائه وإسكات لهم عن أن يعيروه بأدنى عيب، أو يصفوه بشيء من النقص، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن رسول الله ﷺ هل يغدر قال: (لا) ولم يستطع مع شدة عداوته لرسول الله ﷺ في ذلك الوقت أن يقول أكثر من قوله بعد نفي الغدر عنه: (وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا) قال: (ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة) .

إن صفة الوفاء بالعهد صفة مهمة للداعية، ينبغي له التحلي بها في دعوته، والحرص عليها أشد الحرص، فالوفاء بالعهد وعدم نسيانه، خلق كريم، ولذا كان رسول الله ﷺ فيه بالمحل الأفضل والمقام الأسمى، والمكان الأشرف، فوفاؤه ﷺ كان مضرب المثل، فكانﷺ يفي بالعهود والمواثيق التي تكون بينه وبين أعداء الإسلام، فثبت عنه ﷺ أنه أبى أن يقتل رسل مسيلمة الكذاب وقال لهما ﷺ حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ: « مَا تَقُولَانِ أَنْتُمَا؟ » قَالَا: نَقُولُ كَمَا قَالَ، قَالَ: « أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد، باب في الرسلا جـ ٣ صـ ٨٣ رقم ٢٧٦١، عنْ سَلَمَةَ بْنِ نُعَيْمِ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ أَبِيهِ نُعَيْمٍ، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة: الأولى، دار الرسالة

وردَّ ﷺ أبا جندل إلى المشركين أثناء صلح الحديبة للعهد الذي كان بينه وبينهم، أن يردَّ إليهم من جاءه منهم مسلماً، وقال له: « إِنَّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ»[1].

وقد نهى الإسلام عن الغدر، وذمَّ الغادر الذي يواعد على أمر ولا يفي به، وجعل له راية تنصب له يوم القيامة ليعرف بها على رؤوس الأشهاد، فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل غادر لواء فقيل هذه غدرة فلان بن فلان »[2].

(فهذا خطاب منه للعرب بنحو ما كانت تفعل لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء وللغدر راية سوداء ليلوموا الغادر ويذموه, فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة فيذمه أهل الموقف)[3].

فالغدر صفة مذمومة، منبوذ صاحبها في الدنيا مكروه من الناس، ويوم القيامة مأخوذ بعذاب من الله عز وجل عقاباً على جريمته، وهو صفة تدل ضعف في النفس وانهزام، وخصلة من خصال النفاق، لا يوصف بها إلا شرار الناس، المنسلخين عن إنسانيتهم، المتنكرين لفطرتهم، المنحرفين عن جادة الصواب.

ولعل ما يميز الإسلام هو سيطرة الأخلاق على العلاقات الدولية، في السلم والحرب على السواء، وكان قانون القوة هو السائد قبل الإسلام في الأنظمة الأخرى، فلا عهد ولا ميثاق ولا مكان إلا للغدر والنفاق، والتغرير

العالمية،١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م؛ والحاكم في مستدركه كتاب قسم الفيء، جـ ٢ صـ ١٥٥، رقم ٢٦٣٢، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، جـ ٤ صـ ٢٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، جـ ٥ صـ ٢٢٨٥، رقم ٥٨٢٣ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر، جـ ٦ صـ ٢٨٤ .

بالضعفاء، والاعتداء على حق الشعوب (فجاء الإسلام يرسم للناس الطريق ويبين للدنيا أن الحياة لا تطيب بالغدر إنما تجمل بالوفاء)[1].

ولهذا جعل الإسلام قانون تعامله مع غيره هو الوفاء بالعهد، والعدالة، والتسامح، فما دام العدو قد استقام على العهد فلا يحل نقضه بحال، فإن بدأ هو بالخيانة لم يكن لعهده معنى، وإن كانت الخيانة متوقعة فإن المسلمين ينبذوا إليهم عهدهم، ويعلموهم بأن المعاملة ستكون بالمثل، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[2].

إن الداعي إلى الله صاحب رسالة، يسعى جهده إلى نشرها في أرجاء المعمورة، ومن كان حاله كذلك، فلا يتنكر للعهود والمواثيق، ولا يمتنع عن أداء ما قطعه على نفسه، فهذا النقض والتنكر يعود على الدعوة بالضرر، ولئن كان المسلم مطالباً بهذا الخلق مطلوب فإن الوفاء بالعهد آكد في حق الداعية، ذلك أن تأثيره على الرأي العام أوسع، لا سيما وأن الأضواء مسلّطة عليه.

والوفاء بالعهود والمواثيق من القيم الأخلاقية والإنسانية العظيمة التي يحملها المسلمون عامة والدعاة خاصة، وبها يشتد ساعد المجتمع، وتقوى ركيزته، ويتأصل التعاون بين أفراده، وهو خصلة من خصال الأنبياء والصالحين، وصفة من صفات المسلم، يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[3].

---

(1) منهج القرآن في تربية المجتمع، د/ عبد الفتاح عاشور، صـ ٥٦٠، ٥٦١، ط الأولى، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

(2) سورة الأنفال: الآية ٥٨ .

(3) سورة المؤمنون: الآية ٨ .

المطلب الخامس: من صفات الداعية محبة الرسول ﷺ وتعظيمه.

في نهاية حوار هرقل مع أبي سفيان وبعد أن تبيَّن من أوصاف النبي ﷺ وعلم أنه رسول الله حقا وإن كان لم يسلم إلا أنه قال: **(وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ).**

هذه المقولة تستدعي من المسلمين عامة، والدعاة إلى الله خاصة تعظيمَ رسول الله ومحبته، وأن تكون المحبة حقيقة لا ادعاء، فمحبة الرسول واتِّباعه من آثار محبة الله تعالى، ومن لوازمها الآكدة، ومن علامات صحتها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

فمحبة النبي ﷺ واجبة، ومن أحبه فقد أحب الله حبا صادقاً، ومن أبغضه فحبه لله تعالى حب كاذب، قال ﷺ:« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[2].

فالنبي ﷺ هو الذي دعا إلى الله، وعرَّف به، وبلَّغ شريعته، وبيَّن أحكامه، وما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يده ﷺ، ولا يدخلُ أحدٌ الجنة إلا بطاعته واتباعه، فمحبته تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة.

ومحبّته ﷺ تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته، قال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: (وكلُّ محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله

([1]) سورة آل عمران: الآية ٣١.

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، جـ ١ صـ ١٤، رقم ١٦، عن أنس ﷺ.

له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله) [1].

وكان شأن الصحابة ﷺ في حب وتعظيم النبي ﷺ أوضح وأظهر من أن يُسْتدل عليه، قال عروة بن مسعود الثقفي ﷺ لقريش بعد أن رجع من مفاوضة النبيﷺ في صلح الحديبية: (.. والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إنْ رأيت ملكا قَطْ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له ..)[2].

ومن محبته ﷺ الدفاع عنه والذب عن سنته وآل بيته وصحابته، وهذا مما ينبغي على المسلم القيام به والدعاة على وجه الخصوص.

(1) جلاء الأفهام، ابن القيم، صـ ١٨٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة: الثانية، دار العروبة- الكويت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، جـ٢ صـ ٩٧٤، رقم ٢٥٨١، عن المسور بن مخرمة ومروان.

المبحث الثالث

(الدروس الدعوية في جانب المدعو)

المقصود بالمدعو في مجال الدعوة الإسلامية هو الإنسان المخاطب بدعوة الإسلام، الذي توجه إليه الدعوة.

والدعوة الإسلامية موجهة للناس كافة على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، وأعمارهم، وأماكنهم، ومكانتهم،

وتظهر الدروس الدعوية في جانب المدعو في المطالب التالية:

المطلب الأول:

المدعوُّون الضعفاء هم أتباع دعوات الأنبياء غالباً.

جاء في الحوار: **(... وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمُ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ).**

ويقصد بذلك التغليب، يعنى غالب من يتبعه الضعفاء لا أهل الشرف، فما تبعه إلا قلة من أهل الشرف.

أو المقصود بأشراف الناس هنا أهل الكبر والأنفة الذين يتغطرسون ولا ينقاضون للحق، وبذلك يخرج أبو بكر وعمر– رضي الله عنهما– فهم من سادات قريش، واتبعا النبي ﷺ، فأبو بكر شريف في النسب لكنه طاهر القلب لا كبر عنده ولا تعالى ولا تعاظم، وهكذا عمر رضي الله عنه.

وإذا كان يقصد بالأشراف أهل العتو والكبر والعظمة، ففي كل مجتمع يوجَد هذا الصنف من الناس، وإزاء هؤلاء يوجد جمهور الناس وعامّتهم، وهؤلاء صنف آخر من المدعوين.

وهؤلاء الأشراف يعبر القرآن الكريم عنهم بكلمة (الملأ) في قصصه عن الرسل الكرام، وما جرى لهم من أقوامهم.

والملأ: هم أشراف القوم وقادتهم ورؤساؤهم وسادتهم، فهم إذن البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه، الذين يعتبرهم الناس أشرافًا وسادة، أو يعتبرون حسب مفاهيم المجتمع وقيمه أشراف المجتمع وسادته، ومن ثَمَّ يستحقون في عُرْف الناس قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلًا، وإطلاق كلمة الملأ على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى هو من قبيل بيان الواقع، لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلًا للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة.

والوصف الغالب على الملأ من كل قوم معاداتهم للدعوة إلى الله، فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام إلى الله تعالى، وكانوا هم الذين يتولون كبر المقاومة للدعوة إلى الله تعالى، ويقودون حملة التكذيب والافتراء والتضليل ضد أنبياء الله تعالى، يدل على ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(١).

فالملأ يحبون الرياسة والجاه والتسلط، ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس، وتجعلهم تابعين كبقية الناس، وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم، ولذلك يقاومونها ويعادونها، ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم.

والملأ بأوصافهم وأخلاقهم التي بينها القرآن الكريم يوجدون في كل مجتمع، وفي كل مكان وزمان، ولهذا فهم يقفون غالبًا في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغشى نفوسهم، وبدافع حب

(١) سورة سبأ: الآيتان٣٤، ٣٥.

الرياسة على الناس، وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة الإصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفهم.

قال الإمام النووي–رحمه الله–(وأما قوله إن الضعفاء هم أتباع الرسل فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد واتباع الحق)(١).

فالواقع غالبًا أن يتبع الحق ضعفاء الناس، وأن أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس الذين يكونون عادة مرؤوسين للملأ وتابعين لهم، وكما يكونون غالبًا فقراء وضعفاء، ويباشرون مختلف الأعمال والحرف، والجمهور أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى الحق، فهم أتباع رسل الله، يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم.

وليس لهؤلاء الملأ في تكذيب الأنبياء شبهة قائمة على أصل محترم, إنما هي كراهيتهم للحق؛ لأن الرسالة ستسلبهم قيمهم الاجتماعية الباطلة، وتلغي أهواءهم المغرورة، والحق لا يمكن أن يدور مع هواهم، (وَلِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِالْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ تَغْيِيرُ الصُّوَرِ وَالْهَيْئَاتِ، وَهُمْ يُرْسَلُونَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، فَإِذَا أَسْلَمَ مِنْهُمُ الدَّنِيءُ لَمْ يَلْحَقْهُمْ مِنْ ذَلِكَ نُقْصَانٌ، لِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْبَلُوا إِسْلَامَ كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، والْأَرَاذِلُ هُنَا هُمُ الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ، قَالَ عُلَمَاؤُنَا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِاسْتِيلَاءِ الرِّيَاسَةِ عَلَى الْأَشْرَافِ، وَصُعُوبَةِ الِانْفِكَاكِ عَنْهَا، وَالْأَنَفَةِ مِنَ الِانْقِيَادِ لِلْغَيْرِ، وَالْفَقِيرُ خَلِيٌّ عَنْ تِلْكَ الْمَوَانِعِ، فَهُوَ سَرِيعٌ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالِانْقِيَادِ، وَهَذَا غَالِبُ أَحْوَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا)(٢).

(١) شرح صحيح مسلم، النووي، جـ ١٢صـ ١٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ ٩ صـ ٢٣.

فالأَشراف يأْنَفون من تقدُّم مثْلهم عليهم، والضُّعَفاء لا يأْنَفُون، فيُسرعون إلى الانقِياد واتِّباع الحقِّ، وهذا بحسَب الغالب، فأتباع الرسل أكثر ما يكونون من الفقراء، لأن العظماء والأغنياء يصرفهم غناهم وعظمتهم عن الحق؛ لزعمهم أن الإسلام سيزيل شيئاً من مزاياهم.

أحوال الدعاة في دعوة الأشراف والضعفاء:

بعض الدعاة يصرف همه في الدعوة إلى أهل المال والمكانة الاجتماعية، لأن هدايتهم مكسب كبير للدعوة، وإذا جاءه الفقراء أعرض عنهم.

ومن الدعاة على النقيض من ذلك يصرف همه إلى الفقراء والضعفاء لأن أتباع الأنبياء في الغالب منهم، ويترك الكبراء فلا يقربهم ولا يدعوهم، والصحيح أن ينظر إلى هؤلاء وهؤلاء، ويوجه دعوته للجميع.

فأهل الكبر والترف والمال عادة أنهم لا ينقادون، وعادة أنهم يريدون أن يكونوا هم القادة، ويريدون أن يسمع لهم الناس، فيشق عليهم وقد تعودوا على الرئاسة والأمر والنهي؛ أن يصبحوا أتباعاً منقادين.

ولا يعني ذلك أن كل واحد من هؤلاء هو كذلك، بل ربما كان منهم من لو اهتدى لنفع الله به، فعندما اهتدى وآمن عمر بن الخطاب ﷺ انتقلت به الدعوة من مرحلة إلى مرحلة، أي: من مرحلة السرية إلى العلنية والمواجهة؛ لقوته في الحق، فالدعوة ينبغي أن تخاطب هؤلاء وهؤلاء، وتحرص على هداية هؤلاء وهؤلاء.

وأما المحظور فهو أن تشغل الداعي دعوة الكبراء؛ لأهميتهم في نظره عمن يأتيه من الفقراء حريصا على الخير، فالأمر ينبغي أن يؤخذ على حقيقته المتوازنة، ولا يكون فيه إجحاف لا للأغنياء ولا للفقراء.

ولهذا كان رسول الله ﷺ حريصاً على إسلام زعماء المشركين، إلا أنه لا ينبغي ترك الأفراد المستجيبين للدعوة والملتفين حولها والمحبين لها والإعراض عنهم بهذه الحجة، بل يجب إعطاؤهم نصيبهم من الدعوة، ولهذا عاتب الله نبيه ﷺ لما ترك ابن أم مكتوم وبذل وقته مع عظماء قريش، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[2].

المطلب الثاني: الأغراض الدنيوية للمدعو عائق عن قبول الدعوة.

في نهاية الحوار وبعد أن تبين لهرقل حقيقة نبوة النبي ﷺ أراد أن يؤمن لكن منعه حب الرئاسة، وخاف على ملكه (أَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرُّشْدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ، فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ، وَأَيِسَ مِنَ الإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ).

إن الحرص على الدنيا وتقديمها على ما عند الله تعالى أمر يؤدي بصاحبه إلى الصدِّ عن الدعوة والميل عن الحق، وإن كان الناس قد فطروا على حب الدنيا وطول الأمل إلا أنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك، ويظهر حب الدنيا وتقديمها على الإيمان بالله في موقف هرقل من الإيمان بالنبي ﷺ ، فلما علم صدقه، وتيقن من صفاته، وتوفرت لديه علامات نبوته، رغب أن

(1) سورة عبس: الآية ١: ٣ .

(2) سورة الكهف: الآية ٢٨ .

يعرض الأمر على الملأ من قومه، وهم قساوسة الروم وبطارقتها، فجمعهم وعرض عليهم الأمر، فلما رأى الروم لا توافقه رأيه خاف على ملكه، وبين لهم أنه أراد أن ينظر في ثباتهم على دينهم، فغلبه حب الدنيا عن الدخول في الإسلام.

وبهذا يظهر أن من موانع قبول الدعوة الحرص على الملك والرياسة، ولو لم يكن في صاحبه حسد ولا كبر عن الانقياد للحق لكن لا يمكنه أن يجتمع له الانقياد للحق وملكه ورياسته، فيضن بملكه ورياسته، كحال هرقل وأضرابه، فإنه قال في آخر كلامه مع أبي سفيان: (فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، ولو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه)

وهذا حدث مع هرقل وغيره، فلقد بين أبو جهل سبب رفضه الإسلام فقال: (تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف؛ أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا، ولا نصدقه) فقام عنه الأخنس بن شريق[1].

فعلى الرغم من يقين أبي جهل بصدق النبي ﷺ، إلا أن شغفه بالرياسة منعه من الاعتراف بالحق، فمات على الشرك .

ومن العقبات التي تحول دون قبول الدعوة خشية المدعو فوات الرفعة والمكانة، فمن أعظم ما يصد الإنسان عن اتباع الحق وسلوكه هو ما لديه من حظوة ورفعه وسيادة عند الناس يخشى فواتها؛ ولذلك كفار قريش ما اعرضوا عن اتباع النبي ﷺ إلا لما كان لديهم من حظوة وسيادة وخوف من العار

(1) دلائل النبوة، البيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز، رقم ٥٠٨، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

وسقوط ما لديهم من حظوة، مع أنهم رأوا الحق بأعينهم فأحجموا عن القول به، قال الله عنهم:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[1].

ولذلك أبو طالب وهو أقل الناس عذاباً يوم القيامة قد صَدَّقَ بمحمد ﷺ بقلبه ولكنه كفر بلسانه لأنه يخشى العار والشنار بزعمه، ويخشى فوات الحظوة ويخشى السقوط عند الناس ولذلك قال في قصيدته المشهورة في مدح رسول الله ﷺ: (لوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارِيَ سُبَّةً * لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا)[2].

فلما خشي العار والمسبة والوقيعة في العرض وخوف فوت السيادة فأسخط بذلك الله وأسخط النبيﷺ إذ كان يقول للنبيﷺ : (والله لولا خشية أن تعيرني بها قريش لأقررت بها عينك)[3].

وهرقل لما جاءه أبو سفيان وعرض عليه ما عنده عن رسول الله ﷺ فخشي من اتباعه وخشي فوت الرئاسة والحظوة فمنعه ذلك من الإيمان بالله.

ولذلك من أعظم ما يحول بين الإنسان وبين القيام بالحق على اختلاف حال الإنسان أياً كان هو حب الحظوة والنظر إلى حال الناس والرفعة والتمكين.

(1) سورة النمل: من الآية ١٤.

(2) السيرة النبوية، ابن كثير، جـ ١ صـ ٤٦٤.

(3) المرجع السابق جـ ٢ صـ ١٢٧.

المطلب الثالث: ذكاء المدعو في التعرف على صدق الداعي.

فالحوار الذي جرى بين هرقل وأبي سفيان يوضح بجلاء كيف أن هرقل كان ملكاً ذكياً اتبع منهجاً علمياً للتأكد من صدق رسول الله ﷺ، فهو لم يقابل الأمر بكفر وجحود وكبر، بل ناقش وبحث وسأل حتى يتأكد من شأن رسول الله ﷺ، ويبني على هذه المعلومات قراره الذي لم يكن صائبًا في النهاية، بل خذله طمعه في الرياسة والمنصب فاختار الفانية على الباقية، غير أن ما يهمنا المنهج الذي اتبعه هرقل في معرفة صدق رسول الله ﷺ، فإن هذه الأسئلة والبحث الذي قام به هرقل أفاده علما جازما بأن هذا هو النبي الذي ينتظره.

وكل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذه الأسئلة وأطلع على هذا البحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب، لذا قال أبو سفيان:(فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ رَجُلٍ قَطُّ أَزْعُمُ أَنَّهُ كَانَ أَدْهَى مِنْ ذَلِكَ الْأَقْلف[1]– يُرِيدُ هِرَقْلَ –)[2].

لقد كان هرقل عاقلاً وذكياً، وكيف لا وهو من علماء أهل الكتاب، وأهل الكتاب يعلمون أنه سيظهر نبي يعرفونه ويعرفون صفاته ومكان خروجه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

ولذلك عندما وصل هرقل كتاب رسول الله ﷺ، سأل عن صفات ذلك النبي الذي أرسله، فلابد من التبين والتثبت والمعرفة، وهذا شأن العقلاء، فقد

(1) رَجُلٌ أَقْلَفُ بيّن القلَف: لَمْ يُختَن. لسان العرب، ابن منظور، جـ ٩ صـ ٢٩٠.

(2) السيرة النبوية، ابن كثير، جـ ٣ صـ ٤٩٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٦.

يكون طالب ملك وجاه ولذلك بدأ يسأل عن مواصفات ذلك النبي الذي أرسل الكتاب.

وهنا درس للمدعوين أن يتثبتوا ويسألوا قبل أن يسيروا خلف كل ناعق أو دعي كاذب؟! ويميزوا بين الصادقين المخلصين، وبين العملاء وأهل الأهواء والمنافقين والمنحرفين من الدعاة.

فقد كثر الأدعياء في هذا الزمان ممن يحشرون أنفسهم فيما لم يتأهلوا له، فتراهم يردُّون على العلماء المتقدمين بدعوى ومقولة يرددونها زوراً وبهتاناً: (هم رجال ونحن رجال)؛ فيضاهون أنفسهم بالعلماء الراسخين، ويهرفون بما لا يعرفون، ويتحدثون بما لا يفهمون، ويشتغلون بالتنظير قبل التأصيل، فيأتون بعجائب وغرائب، وقد شقي الناس بهم، وبقبح ما يجيئون به من وقاحات، وجرأة على العلم وأهله، بل على الإسلام؛ باستهزائهم بنصوص القرآن والسنة، وتطاولهم على أحكام الشريعة، وهم في حقيقة الأمر لم يأتوا بجديد، إنما يُرَوِّجون لأفكار المذاهب المنحرفة التي ظهرت في تاريخ الإسلام، قاصدين التشويه والتشويش للإسلام.

قال الإمام الشاطبي[1]-رحمه الله-: (السائل لا يصح أن يسأل من لا يعتبر في الشريعة جوابه، لأنه إسناد أمر إلى غير أهله، والإجماع على عدم صحة مثل هذا، بل لا يمكن في الواقع)[2].

(١) أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، توفي سنة ٧٩٠هـ من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام. الأعلام، الزركلي جـ ١ صـ ٧٥.

(٢) الموافقات، جـ ٥ صـ ٢٨٥, تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان, الطبعة الأولى, دار ابن عفان, ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

وعلى هذا ينبه أيضاً الإمام الغزالي[١]–رحمه الله– ويحذر العامة من أن يخوضوا في العلم وهم لا يملكون أدواته، فيقول: (حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء، فالعامي لو يزني ويسرق كان خيرا له من أن يتكلم في العلم)[٢].

وأمثال هؤلاء يلقون الكلام على عواهنه دون حجة أو برهان، مستغلين جهل بعض المسلمين في ترويج أكاذيبهم وباطلهم، راجين أن يجد كلامهم آذاناً صاغية في سوق عوام الناس، فيخرجون علينا بالهجوم على أعلام الإسلام وأئمته، والطعن في مصادر التشريع، وسبَّ رواة الحديث ونقلته على رؤوس الأشهاد.

المطلب الرابع: من أدب المدعو معرفة قدرة الداعي وعدم انتقاص حقه.

قال هرقل في نهاية حواره مع أبي سفيان: **(... فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ).**

أي ولو كنت أستطيع أن أصل إليه ولو ماشيا لفعلت، ولغسلت بيدي رجليه؛ خضوعا له وتبركا به، ولكني أخاف من قومي أن يقتلوني.

يؤخذ من هذا احترام وتقدير المدعو للداعي إلى الله تعالى، لا سيما إذا تبين صدقه في دعوته، إذ الدعاة الصادقون المخلصون قوما يعيشون لدعوتهم، ولأمتهم، ولمجتمعهم، فدعوتهم همهم بالليل والنهار، وهي فكرهم في

(١) أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الغزالي: الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي، الفقيه، الشافعي، اشتغل في مبدأ أمره بطوس، ثم قدم نيسابور، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة، وصار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة، وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين، وتوفي سنة خمس وخمسمائة). وفيات الأعيان– ابن خلكان جـ ٤ صـ ٢١٦.

(٢) إحياء علوم الدين، جـ ٣ صـ ٣٦، دار المعرفة، بيروت.

النوم واليقظة، وشغلهم الشاغل في السر والعلن، يؤثرون من أجلها التعب والنصب، ويضحون في سبيلها بالوقت والجهد والمال، وقد استحقوا بذلك تكريم الله لهم، وتشريفه إياهم.

فمكانة الداعي في الإسلام مكانة عظيمة، وقوله في الدعوة أحسن الأقوال في ميزان الله الذي هو أصدق وأعدل الموازين، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

والدعاة هم أهل العلم المبلغون عن الله تعالى، وقد جاءتْ نصوصُ الشرع متوافرةً متعاضدة تعزّز من مكانة العلماء، وتبيّن فضْلَهم؛ فهم من شهود الله على أعظم مشهود به، وهو توحيد الله تعالى، كما قال: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

قال الإمام القرطبي –رحمه الله–: (في هذه الآية دليلٌ على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم؛ فإنه لو كان أحدٌ أشرفَ من العلماء، لقَرَنَهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء)[3].

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله–: (العلماء هم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء؛ بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجةُ الناس إليهم أعظمُ من حاجتهم إلى الطعام والشراب)[4].

ولما كان أهل العلم بهذه المنزلة؛ فقد جاء الشرع بتكريمهم، والحضّ على توقيرهم؛ فتوقير العلم والعلماء من إجلال الله تعالى، فعن أبي موسى الأشعري

---

(1) سورة فصلت: الآية٣٣.

(2) سورة آل عمران: الآية ١٨.

(3) الجامع لأحكام القرآن، جـ ٤ صـ ٤١

(4) إعلام الموقعين عن رب العالمين جـ ١ صـ ٩, تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللَّهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرآنِ غَيْرِ الْغَالي فِيهِ والجَافي عَنْهُ، وإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ »[1].

وهذه المنزلة لمن عمل بعلمه من العلماء، وإلا فالذي لا يعمل بعلمه غير داخل في زمرة العلماء ولا ينتظم في سلكهم.

ومن هنا وجب أن يوفيهم الناسُ حقَّهم من التعظيم والتقدير والإجلال، لأن الوقوع في العلماء وانتقاصهم أو ازدرائهم فيه إسقاطٌ لهم، وحرمانٌ للناس من الإفادة من عِلمهم، وحينئذٍ يتَّخذ الناسُ رؤوساً جهالاً، فيفتون بغير علم فيَضِلُّون، ويُضِلُّون.

ومن الآثار السيئة التي تترتَّب على عدم تقدير الدعاة وأهل العلم من قِبل المدعوين أن يفقد الناس الثقةَ في أهل العلم، فلا يَقبَلون منهم كلامًا ولا فتوى، ولا نصحاً ولا إرشاداً، وبذلك لا يكون للعلماء دورُ الريادة والقيادة في الأمة، فيتخذ الناس الرؤوسَ الجهال المضلّين، ويتجرأ السفلةُ والسفهاء للطعن في العلماء، والتطاول على الشريعة بعد ذلك، وإشاعة العداوة والبغضاء في المجتمع، بما ينتشر من تناحُرٍ وتنافُر، وبهذا يتحقق هدف أعداء الإسلام الذين سعَوْا من أجله، فقد عُنوا بالحط من كرامة علماء الدين في أعين الناس؛ لأن علماء الشريعة صخرةٌ ثابتة، وجبال شماء، تتحطم عليها معاولُ هدمهم، وتتكسر عليها مشاريعُهم الفاسدة، ومخططاتهم المشبوهة في مجتمعات المسلمين.

وفي العصر الحاضر تجد أناساً شُغْلُهم الشاغلُ إسقاطَ الدعاةِ والمصلحين، ويتخذون مما يقع من أحداث ذريعة لذلك؛ فيستغلون تلك المواقف

---

(1) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في تنزيل الناس منازلهم، جـ ٧ صـ ٢١٢، رقم ٤٨٤٣، وقال شعيب الأرناؤوط إسناده حسن.

المتطرفة المتشددة من بعض المغالين لتبرير تشويه صورة الإسلام والمسلمين والعاملين له، ويلقون في نفوس الجهال من المسلمين أن هذا هو الإسلام، وأنه دين يدعو إلى الغلظة والخشونة، وإراقة الدماء، وانتهاك الحرمات، وهؤلاء هم دعاة الإسلام الذين يتصفون بالتحجر، والجمود، والانغلاق على النفس، وحب إراقة الدماء، وهذه الاتهامات من الآثار الخطيرة للغلو والتي تؤدي إلى إضعاف الجهود الدعوية .

المبحث الرابع
(الدروس الدعوية في جانب الدعوة)

تمهيد:

تطلق الدعوة على حقيقتين: الأولى: حقيقة الإسلام كدين شامل بما يحتوي عليه من عقيدة وشريعة وأخلاق، والثانية: بيان هذا الدين وتبليغه للناس أجمعين، فكلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام وأيضاً تطلق على عملية تبليغه للناس (والسياق هو الذي يحدد المعنى المطلوب، فإذا قلت مثلاً هذا الرجل من رجال الدعوة إلى الله تعالى عرف أن الكلمة أطلقت على محاولة نشر الدعوة وتبليغها، وإذا قلت اتبع دعوة الله عرف أنها أطلقت على الإسلام نفسه)[1].

وإذا ذُكِرَت الكلمةُ على إطلاقها دون قيد فإنها تنصرف عرفاً إلى محاولة نشر الإسلام وتبليغه، فهي دعوة إلى الخير والهدى والصلاح، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

وبالدعوة إلى الله تعالى تنتقل الأمم – بإذن الله– من محيط الكفر والجهالة، إلى محيط الإيمان والعلم، قال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [2].

ومن محيط العادات والتشريعات والأنظمة الفاسدة، إلى محيط نور الإسلام، بما يحتويه هذا المحيط من طمأنينة النفس وسلامة العقيدة.

وتظهر الدروس الدعوية المستنبطة من حوار هرقل وأبي سفيان في جانب الدعوة من خلال المطالب التالية:

(١) حتمية الإسلام لأمن البشرية واستقرارها، د/عبد الله عبد الحي صـ ٣، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٧م.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١.

المطلب الأول: دعوة الحق أتباعها يزيدون ولا ينقصون.

جاء في الحوار سؤال هرقل لأبي سفيان عن أتباع النبي ﷺ: (... **وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ**).

قال الإمام ابن تيمية[1] –رحمه الله– وهو يشرح حديث هرقل مع أبي سفيان: (فسألهم عن زيادة اتباعه ودوامهم على اتباعه، فأخبروه أنهم يزيدون ويدومون، وهذا من علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه؛ ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبىء الكذاب لا يدوم إلا مدة يسيرة، وهذه من بعض حجج ملوك النصارى الذين يقال إنهم من ولد قيصر هذا أو غيرهم، حيث رأى رجلا يسب النبي ﷺ من رؤوس النصارى ويرميه بالكذب، فجمع (هذا الملك) علماء النصارى وسألهم عن المتنبىء الكذاب كم تبقى نبوته؟ فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء إن الكذاب المفتري لا يبقى إلا كذا وكذا سنة لمدة قريبة إما ثلاثين سنة أو نحوها، فقال لهم: هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة أو ستمائة سنة وهو ظاهر مقبول متبوع، فكيف يكون هذا كذابا؟ ثم ضرب عنق ذلك الرجل)[2].

فزيادة أتباع الدعوة الإسلامية، وتمسك أتباعهُا بها دليل على صدقها، وأنها من عند الله حقا، أما الدعوات الباطلة فلا تدوم مهما طال بها الزمن، بل

---

(١) أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن أبي الْقَاسِم بن تَيْمِية: الْحَرَّانِي، ثمَّ الدِّمَشْقِي، الْحَنْبَلِيّ، تَقِيّ الدّين أَبُو الْعَبَّاس بن شهَاب الدّين ابْن مجد الدّين، ولد سنة ٦٦١هـ، تفقه، وتميز، وَتقدم، وصنف، ودرس، وَأفْتى، وفَاق الأقران، وَصَارَ عجباً فِي سرعَة الاستحضار، وَقُوَّة الْجنان، والتوسع فِي الْمَنْقُول والمعقول، واعتقل بالقلعة فَلم يزل بهَا إِلَى أَن مَاتَ سنة ٧٢٨هـ). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر جـ ١ صـ ١٦٨.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية صـ ١٤٤، ١٤٥، تحقيق: مُحَمَّد بن رياض الأحمد، الطبعة: الأولى، المكتبة العصرية، بيروت.

لابد أن ينفض عنها الأتباع عندما يظهر لهم كذبها وزيفها، فالدعوة إلى الله تعالى هي الحق، وهي دعوة واحدة لا تشعب فيها ولا تناقض، والدعوات الباطلة هي دعوات شتى كثيرة ومتناقضة، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾(١).

والدعوة إما أن تكون لله وحده، وهذه هي دعوة الحق، ودعاتها دعاة الحق، قال الله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾(٢) أي الدعوة الحق لله وحده.

وإما أن تكون دعوات لغيره أياً كان من المخلوقات، فتلك هي دعوات الباطل والضلال، على رأس كل منها شيطان، ودعاتها دعاة الباطل والضلال، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾(٣).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه »، ثم قرأ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤)(٥).

والدعوة الإسلامية منذ انطلاقتها الأولى من مكة المكرمة ألتف حولها الاتباع وزاد عددهم سريعا؛ لأنها هي دعوة الطهارة والبقاء، دعوة الخلود والنقاء، دعوة النور والإيمان، دعوة الحق والعدل والمحبة، دعوة التسامُح

(١) سورة الحج: من الآية٦٢.

(٢) سورة الرعد: من الآية ١٤.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده جـ ٧ صـ ٤٣٦، رقم ٤٤٣٧، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

والمساواة، دعوة الحرية والتقدُّم والرقي، دعوة العلم والحضارة، والأفكار السامية، والمبادئ والغايات النبيلة، والقِيَم الروحية، وهي تسعى جاهدة، لكي تقيم عالمًا إسلاميًّا موحدًا، تسودُه هذه المبادئ السامية؛ وذلك لأنها دعوة لكلِّ الأمم والشعوب، بأجناسها وألوانها.

ومن هنا، فإنَّ الدَّعوة الإسلامية تسعى جاهدة؛ لكي تنطوي كل الأمم والشعوب تحت لوائها، تلك الدعوة التي آمن بها الأوائل ، وهاجَرَ بها إلى المدينة المنورة عدد قليل من مكة المكرمة؛ هربًا مِن ظُلْم الطاغوت والكُفْر في مكة المكرمة، وتلبيةً لنداء المولى –عزَّ وجلَّ– في الهجرة، ولإيجاد الأرض الخصبة التي تَتَرَعْرع فيها دعوةُ الحق، واستطاع هؤلاءِ المسلمون الأوائل– بما ملكوا من قوَّة الإيمان وعزيمة الرجال– أن يقيموا دولة إسلامية كبرى، فرضتْ وجودها بقوة إيمان رجالها، لا بقوة السيف، ولم يكنْ هدف كلِّ واحدٍ من هؤلاءِ إلا وجه الله؛ ذلك لأن الدعوة الإسلامية كانتْ في نظر هؤلاء المسلمين الأوائل هي دعوة منَ الله، وهم يسعون إلى إيصالها إلى كلِّ أصقاع الأرض المعمورة.

لقد خرج هؤلاءِ الدُّعاة الأوائل، وكان سلاحهم الإيمان فعظمتْ دولتهم، وتعمق إيمانُهم، وانتشرت الدعوة، وزاد أتباعها، فبلغت الدعوة حدود الصين شرقاً، وسهول فرنسا غرباً، وخط الاستواء جنوباً، وسهول سيبريا شمالاً.

وهكذا كان الإيمانُ هو السلاحَ القوي والمؤثر في انتشار الدعوة الإسلامية، وهكذا أمر الإيمان حتى يتم.

المطلب الثاني: دعوة الإسلام لا يتركها أهلها سخطة فيها.

جاء في الحوار: **(وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ)**.

فمفاد كلام هرقل أن الإنسان إذا آمن لا يرتد عن دينه ساخطاً على الدين، وإنما قد يرتد لأسباب أخرى، كأن يكون حديث عهد بالإسلام، أو لأنه

لا يريد دفع الزكاة، أو أنه أُغْرِي بمال، وليس لأجل ضعف في الدين الإسلامي، وهذه نقطة مهمة، وهي أنه لا يوجد أحدٌ يدخل في الدين ويفقهه جيداً فيتركه ساخطاً عليه، وهذا ربما يقع في أديان أخرى، أما في الإسلام فإنه لا يقع.

إن أهم ما يُحققه الدين في نفوس أصحابه أن يحيي فيهم حساسية الإيمان، وهي حاسة يتميزُ بها الحقّ من الباطل، والصوابُ من الخطأ، وتكشف عن البصائر حجب الأهواء ومؤثرات البيئة، فيتحرر الإنسان من كل هذه الأغلال.

لأن للإيمان حلاوة تحسها قلوب المتقين، وتتلذذ بها أفئدة الأبرار، وتذوب في سعادتها مشاعر المقربين، وحلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه، فقد أوذي المسلمون بمكة على أيدي مشركي قريش إيذاء لا يحتمله بشر فهاجر بعضهم إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة فراراً بدينهم، وكان من يخرج منهم يترك وطنه وبيته وأملاكه وأمواله، وأحياناً كان صناديد قريش يشترطون على من يأذنوا له بالهجرة أن يتنازل عن ممتلكاته وما معه من مال وما تركوا دينهم ولا ارتدوا عنه.

لأنه إذا خالطت حلاوة الإيمان بشاشة القلوب فلا يمكن للعبد أن يتخلى عن دينه، أو أن يرتد عنه، مهما كانت الأسباب، ومهما بلغت المغريات، ومهما تنوعت طرق الإغراء أو الإغواء.

ولقد وضح هذا الأمر جلياً في قصة السحرة مع فرعون؛ فقد كان السحرة قبل إلقاء موسى عصاه كفاراً ضلالاً، جاءوا رغبة في تحقيق النصر على نبي الله موسى عليه السلام، ويطلبون المكافأة عند فرعون، فإذا بموسى يلقي عصاه فعرفوا أن ذلك من عند الله فخروا ساجدين لله مؤمنين به لا يتركون دينهم الجديد حتى وإن قطع فرعون أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل،

فقد ذاقوا حلاوة الإيمان فقالوا لفرعون كما قال الله: (لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)(١).

ولقد كان النبي ﷺ يقص على الصحابة الكرام ما كان يحدث لمن سبقهم من أذى في الله، فعنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: « كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(٢).

وهذا الذي أخبر به النبيﷺ قد حدث مثله فيما ذكره الله تعالى في سورة البروج، حيث قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ* وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٣).

وكان أصحاب النبي ﷺ أعظم الناس ثباتا على دينهم؛ لما رأوه من حلاوة الإيمان بعد ما عاينوه من قبح الشرك، حتى أصبحوا هم أنفسهم أمثلة للصبر والتحمل والتمسك بهذا الذين حتى لو كانت النتيجة هي موتهم.

(١) سورة طه: الآية ٧٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، جـ ٣ صـ ١٣٢٢، رقم ٣٤١٦.

(٣) سورة البروج: الآيات ٤: ٩ .

لقد فُتِن كثير من المسلمين الأوائل في دينهم سواء في ذلك الأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد، والرجال والنساء، وتغلبت بشاشة الإيمان وحلاوة الإسلام على ظلمات الجهل ودركات الجاهلية.

المطلب الثالث: النصر والتمكين للدعوة بعد الابتلاء والمحن.

قال هرقل لأبي سفيان : **(.... وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبَهُ تَكُونُ دُوَلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمُ المَرَّةَ وَتُدَالُونَ عَلَيْهِ الأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ).**

فالابتلاء من سنن الله في الدعوة، والرسل يبتلون ويؤذن، لكن في النهاية ثم تكون لهم العاقبة، والحكمة في ذلك الابتلاء أنهم لو انتصروا دائما لدخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميّز الصادق من غيره.

فسنة الله تعالى في الدعوات الصادقة؛ أن يشتد عودُها، ويستقيم متنها بالابتلاء، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1].

والمعنى: (أظننتم أن تدخلوا الجنة ولم يصبكم مثل ما أصاب الذين قبلكم فتختبروا)[2].

فالابتلاء قاعدة من قواعد الحياة الدنيا، كما هي سنة الله تعالى في أنبيائه ورسله والدعاة إليه، (فقد اقتضت سنة الله أن يجعل هذه الحياة نزالا موصولا بين الأخيار والأشرار، ونزاعاً مستمراً بين الأطهار والفجار، وكثيراً ما يضيّق

(1) سورة البقرة: ٢١٤.

(2) معاني القرآن، الفراء ص١٣٢، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وزميليه، الطبعة الأولى، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة.

البغاة على المؤمنين، وينزلون بهم ما ينزلون من صنوف الاضطهاد، إلا أن الله- تعالى- قد تكفل بأن يجعل العاقبة للمتقين)[1].

وقد قُتل أنبياءُ الله ورُسلُه وأُوذوا وصبروا، ورَبط رسول الله ﷺ على بطنه حجرين، وكان يُوعَك كما يوعك رجلان من أصحابه، وأُوذي في نفسه إيذاء بدنيا ومعنويا، واستشهد أحَبُّ الناس إليه.

وما هذا إلا أن العافية في الدنيا-وإن كانت مَطْلبا شرعيا- إلا أنها ليست دليلا كافيا على رِضَى الله على عبده، كما أن البلاء ليس دليلا على سخط الله، فطبيعة هذه الحياة الكَبَد ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[2].

وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جِذْوَةَ نَارِ

جُبِلَت عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ صَفْواً مِنَ الأَقْذَاءِ والأَكْدَارِ[3].

تُرِيدُها

فالحق والباطل لا يغيبان البتة، ولكن لهما صولات وجولات، يدال على هذا مرة وعلى ذاك أخرى، ثم تكون العاقبة للحق.

لقد منَّ الله تعالى على أتباع النبي محمد ﷺ فتجمَّعوا حوله وهم ضعفاء فقراء، فابتلاهم الله تعالى فصَبروا، فمكَّن الله تعالى لهم فسادُوا الدنيا، وأصبحوا قادةً في كلِّ ربوع المعمورة.

فالداعي إلى الله لابد له من الصبر على مشاق الدعوة وعلى ما يلاقيه في دعوته، فإنه يأتي الناس بما لا يشتهونه ولا يألفونه، وبما يخالف ما وجدوا

---

(1) التفسير الوسيط، د/ محمد سسيد طنطاوي جـ ١ صـ ٤٦٥، الطبعة: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

(2) سورة البلد: ٤.

(3) خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، جـ ١ صـ ٣٥، تحقيق عصام شعيتو، الطبعة الأولى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.

عليه آباءهم، فلذلك يقاومون الدعوة بكل ما أوتوا من قوة، ويوصلون الأذى بالداعية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، وبالصبر ستكون العاقبة والتمكين.

المطلب الرابع: المستقبل لدعوة الإسلام.

جاء في نهاية حوار هرقل مع أبي سفيان قول هرقل: **(... فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ)**.

إن هذا القول من هرقل اعترافٌ بنبوة النبي ﷺ، وأن دينه سينتشر ويسود الدنيا، وتدين له البلاد والعباد.

وقد ملك النبي ﷺ ما تحت قدمي هرقل بدعوته لا بشخصه، لأن دعوته أتت على هذه الأرض واكتسحت الأوثان والشرك وأصحابه، وملكها الخلفاء الراشدون بعد النبي ﷺ، وقد ملكوها بدعوته ﷺ وبشريعته.

وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه بما تملك أمته من بعده، فذكر فتح بلدان بأسمائها كفارس، والروم، ومصر، والقسطنطينية، وروما، ومشارق الأرض ومغاربها، وأخبر بدخول الإسلام كل بيت في الأرض، وعلو الإسلام على الأديان كلها، وخضوع الجميع من أقصى الأرض إلى أقصاها لسلطانه، وقد وقع من هذا ما شاء الله أن يقع كما حدَّث به النبي ﷺ.

فالدعوة الإسلام تتميَّز بقدرتها الذاتية على الانتشار، وسرعة النفوذ إلى القلوب الحائرة، والنفوس المضطربة.

ولقد عرَفت الدعوة الإسلامية كبواتٍ تاريخية صعبة، وتوالت عليها الحروب ردحاً غير يسير من الزمان، ولكنها أثبتت قوتها على المواجهة، وقدرتَها على الغلبة؛ لأن وعد الله ماضٍ في جعل المستقبل لها، وكون الدائرة آيبة إليها؛ لأن بيدها وسائلَ النهوض وقيادة الأمم.

ففي وسط محنة حفر الخندق، والصحابة في انتظار المعركة مع الأحزاب، وكان الترقب والخوف يملأ القلوب تأتي البشرى من رسول الله ﷺ، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: أمَرَنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، وعرَضَ لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخُذ فيها المعاولُ، فشكَوْها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، فوضع ثوبه، ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المِعْوَلَ، فقال: « بسم الله »، فضرب ضربةً، فكسر ثلث الحجر، وقال: « الله أكبر، أُعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأُبصر قصورها الحُمر من مكاني هذا »، ثم قال: « بسم الله »، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر فقال: « الله أكبر، أُعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأُبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا »، ثم قال: « بسم الله »، وضرب ضربةً أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: « الله أكبر، أُعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»[1].

ولقد تحقَّق وعدُهﷺ، بل وقع من ذلك ما كان قريبًا من عهد النبي ﷺ فعن عديّ بن حاتم ﷺ قال: بينا أنا عند النبي ﷺ، إذ أتاه رجل، فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر، فشكا قطع السبيل، فقال: « يا عديُّ، هل رأيت الحيرة؟»، قلت: لم أرها وقد أُنبئت عنها، قال: « فإن طالت بك حياة، لترينَّ الظعينة (المرأة) ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف أحدًا إلا الله»، قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيِّئ (قطَّاع الطريق)، الذين قد سعَّروا البلاد (أشعلوا فيها نار الفتنة والفساد)؟ ثم قال: «ولئن طالت بك حياة، لتُفتحنَّ كنوز كسرى»، قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: « كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترينَّ الرجل يُخرِج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يَقبَلُه منه،

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، جـ ٣٠ صـ ٦٢٦، رقم ١٨٦٩٤، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ صـ ١٣٠،١٣١، وقال: رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات.

فلا يجد أحدًا يقبله منه»، قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة، لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يُخرِج ملء كفه[1].

وقد قال ﷺ منبئاً عن ملك أمته وسلطانها: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقَها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زوي لي منها، وأعطيتُ الكنزيْن الأحمرَ والأبيض»[2].

قال النووي: (وهذا الحديث فيه معجزاتٌ ظاهرة, وقد وقعت كلُّها بحمد الله كما أخبر به ﷺ ...المراد بالكنزين الذّهب والفضّة, والمراد كنزَيْ كسرى وقيصر، ملِكي العراق والشّام، وفيه إشارة إلى أنّ مُلكَ هذه الأمّة يكون معظم امتدادِه في جهتي المشرق والمغرب, وهكذا وقع، وأمّا في جهتي الجَنوب والشَّمال فقليل بالنّسبة إلى المشرق والمغرب)[3].

فقد أعلمه الله بانتشار دينه، وبسؤدد أتباعه وأمته من بعدِه على فارس والروم وغيرها من البلاد.

ومثل هذه النبوءة العظيمة بل أعظم منها؛ تنبؤه ﷺ عن بلوغ دينه إلى أقاصي الأرض، فعن تميم الداري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وبرٍ، إلا أدخله اللهُ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، جـ ٣ صـ ١٣١٦، رقم ٣٤٠٠.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الامة بعضا ببعض، جـ ٤ صـ ٢٢١٥، رقم ٢٨٨٩.

(3) شرح صحيح مسلم، النووي جـ ١٨ صـ ١٣.

هذا الدين، بعز عزيز، أو بذلٍ ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام، وذُلاً يذل الله به الكفر»[1].

إن الرسالات لا تنتصر وحدها، إنما تنتصر بأهلها، والحق لا يعلو وحده، إنما يعلو وفق سنن الله بدعاته ورجاله الذين جمعوا بين العلم، والعمل والإخلاص.

المطلب الخامس: من موضوعات الدعوة في الحوار:

جاء في حوار هرقل مع أبي سفيان بعضا من الموضوعات الدعوية التي تتعلق بأصول الدعوة، العقيدة، والشريعة، والأخلاق، **(... قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ).**

ومن هذ الموضوعات ما يلي:

١- الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك الشرك. (اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)

فقد بعث الله جميع الأنبياء والرسل لتحقيق عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

فالرسل عليهم الصلاة والسلام دعوا أول ما دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتلك هي القضية الكبرى التي دعا إليها جميع الرسل، وفكل رسول

---

(1) أخرج أحمد في مسنده، جـ ٤ صـ ١٠٣، رقم ١٦٩٩٨، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(2) سورة النحل: الآية ٣٦.

كان يدعو قومه يقول لهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[1]. وكان الرسول ﷺ يقول:(يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)[2].

وهذا هو الأساس في دعوة كل رسول من الرسل، فكل نبي لما أرسله الله إلى قومه دعاهم إلى ما ينقلهم من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ومن عبادة الهوى والنفس والشيطان إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

فلما سأل هرقل أبا سفيان عما كان يأمرهم به النبي ﷺ فأخبر بأنه يأمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، فلا يعبدوا غير الله لا ملكاً ولا رسوله ولا شجراً ولا حجراً، ولا شمساً ولا قمراً ولا غير ذلك، فالعبادة لله وحده، وهذا الذي جاء به الرسولﷺ، وجاءت به الرسل كلهم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [3].

٢- الدعوة إلى ترك ما كان عليه الآباء، وإبطال عادات الجاهلية. (وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ)

كان النبي ﷺ يبطل عادات الجاهلية، كلما واتته الفرصة، قال الحافظ ابن حجر: (واتركوا ما يقول آباؤكم هي كلمة جامعة لترك ما كانوا عليه في الجاهلية، وإنما ذكر الآباء تنبيها على عذرهم في مخالفتهم له؛ لأن الآباء قدوة عند الفريقين أي عبدة الأوثان والنصارى)[4].

(1) سورة الأعراف: من الآية ٥٩.

(2) السيرة النبوية، ابن كثير، جـ ١صـ ٤٦٢.

(3) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

(4) فتح الباري، ابن حجر، جـ ١ صـ ٣٦.

وقد جاء الإسلام بتحريم وإبطال بعض الأمور التي كانت موجودةً في الجاهلية، وأقر بعض الأمور التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام، وقوَّم بعض العادات وهذَّبها.

فالرسول ﷺ أمرهم أن يَدَعوا ما كان عليه آباؤهم من الإشراك بالله، وما كان يقوله آباؤهم من الأمر بعِبادة الأَوثان، وما يتبعها من العادات الجاهلية القبيحة التي كانت سائدة فيهم، ولا يمكن أن تكون صورة المجتمع الجاهلي قبل الإسلام مجردة من كل ميزة أو خالية من كل الصفات المحمودة، فقد كان فيهم كثيرا من الأخلاق المحمودة التي أقرها الإسلام، كالشجاعة والمروءة والنجدة (فكان الواحد منهم إذا شم رائحة الذل والهوان، فضل السيف والسنان، وآثر الحرب العوان ، وقدم نفسه قربانا لعزته وكرامته)[1]

كما كانوا أهل فروسية، ورباطة جأش، وقوة بأس، يحبون الصدق والصراحة والوضوح، ويأنفون الكذب ويعيبونه، وغير ذلك مما أقره الإسلام وشجعه.

أما العادات القبيحة فلا يمكن حصرها هنا لكثرتها، وليس هناك أبلغ وأصدق لتصوير ووصف هذه العادات الجاهلية، من تصوير جعفر بن أبي طالب ﷺ أمام النجاشي، حيث قال : (أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأت الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف)[2].

فهذَّب الإسلام كل هذه العادات الباطلة وأبطل بعضها وهدمه، ودعا إلى كل خلق حسن.

٣- الدعوة إلى أصول العبادات. (... وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالزَّكَاةِ...)

(1) الرحيق المختوم، المباركفوري صـ ٥٢ الطبعة: الثانية، دار السلام للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام جـ ٢ صـ ١٧٩.

فالصلاة أقدم عبادة عرفت في الرسالات الإلهية، ولم تَخْل منها شريعة من الشرائع السابقة على الإسلام، وهي وأول عبادة فرضت على المسلمين، والفريضة العظمى التي فرضها الله على عباده ليلة الإسراء والمعراج، وتولى إيجابها على عباده بمخاطبة النبي مباشرة دون واسطة، وفيها إظهار العبودية ومقام الذلّ والانكسار بين يدي الله عزّ وجلّ.

وهي أقوى وسائل الاتصال بين العبد وربه، فإن وقوف العبد بين يدي مولاه متذللا، متجردا من كل معاني الحول والقوة، يدعوه ويناجيه، ويستعين به ويستهديه، وكان وقوفه على هذه الحالة من الضراعة والخشوع، ومن التجرد والشعور بالضعف، هو سر العبودية وجوهرها ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كانت صلاته بخشوع وخضوع لله، ويؤديها العبد بطمأنينة.

وفي الصلاة طهارة حسية ومعنوية، فالمسلم قبل أن يدخل الصلاة لابد أن يطهر بدنه وثوبه والمكان الذي يصلي فيه، وهذه طهارة حسية فيتطهر المسلم من الأقذار.

وإذا ارتكب المسلم ذنبا أو اقترف خطيئة، فإنه يتذكر أنه بعد قليل سيقف بين يدي ربه الذي يعلم السر وأخفى، فيستحي أن يقف بين يديه وهو آثم، فيسارع بالتوبة، فلا تحضره الصلاة إلا وقد رجع إلى ربه تائباً منيباً، وصلاته تكفر له ما ارتكبه قبلها ويقف المسلم بين يدي ربه طاهراً يصلي، فتمحو الصلاةُ ذنوبَه وآثامه وتكفرها، وهذه طهارة معنوية.

وفيها تزكية للنفس وتطهير مستمر لها، لأنها اتصال دائم بالله، ومتى أصبح العبد دائم الصلة بربه، فقد أصبح أكثر خشية له، وأكثر حرصا على طاعته، وبصلاته تغسل ذنوبه وخطاياه

وفي الاجتماع لأدائها في صفوف متراصة متساوية، إشارة إلى النظام والانضباط، وجمع الكلمة، الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمين.

وفي الجماعة تعارف بين الناس يقرب بين القلوب المتنافرة، ويزيل منها الضغائن والأحقاد، وتوحيد لكلمة المسلمين، وتذكير بأنهم إخوة يجب أن يرحم كبيرهم صغيرهم، ويوقر صغيرهم كبيرهم، ويواسي غنيهم فقيرهم، ويعين قويهم ضعيفهم، ويعود صحيحهم مريضهم.

والزكاة: فريضة معلومة من الدين بالضرورة على كل مسلم ملك نصابا من مال بشروطه، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، وهي من العبادات المالية الاجتماعية الهامة، وقد عُرفت في الرسالات السابقة على الإسلام، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[1].

ووتسمى الزكاة صدقة، قال النووي: (وسميت صدقة لأنها دليل لتصديق صاحبها وصحة إيمانه بظاهره وباطنه)[2]، وبها يستحق صاحبها المدح والثناء، لصدق إيمانه بإخراجه حق الله من ماله.

كما تسمى نفقة؛ لأنها إمضاء وإنفاذ وإخراج لبعض المال ابتغاء مرضاة الله، كما تسمى العفو؛ لأنها بذل لبعض المال الزائد عن الحاجة، قال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [3].

كما تسمى حقا؛ لأنها جزء ثابت لله في مال العبد يعطيه لمستحقيه، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[4].

وقد شرعت الزكاة إصلاحا لحال المجتمع فقرائه وأغنيائه، وتنمية لموارده، إذ يؤخذ من الغني حق الله ليرد إلى الفقير، وهذا نوع من التكافل الاجتماعي

(1) سورة الأنبياء: الآية ٧٣ .

(2) شرح صحيح مسلم، النووي، جـ ٧ صـ ٤٧ .

(3) سورة البقرة: من الآية ٢١٩.

(4) سورة الذاريات: الآية ١٩.

الضروري، فهذا المال الذي يُخرجه صاحبه لا يضره إخراجه، وإنما ينفع الفقير ويقضي حاجته.

وبإخراجها يزيد الأجر والثواب ويضاعف عند الله، وهي تطهر مُخرجها من الذنوب والخطايا، وتطهر أنفس الفقراء من الحقد والكراهية للأغنياء.

٤- الحث على مكارم الأخلاق، ومنها:

- العفاف

(والعفاف بالفتح والتخفيف الكف عن المنهي شرعا وعن السؤال من الناس)[١].

ومجالات العفة كثيرة، منها: عفة الفرج، وهي أن يصون المسلم والمسلمة نفسه وفرجه عما حرم الله من الوقوع في هوة الرذيلة، وقد جاء في القران الكريم إشارة إلى هذه العفة في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٢].

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ * إِلَّا عَلى أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغى وَراءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العادُونَ ﴾[٣].

ومنها: عفة اللسان، وهي أن يمسك المسلم لسانه عن كل مالا يحبه الله تعالى من أقوال من غيبة ونميمة، واستهزاء وسخرية، وطعن في أعراض

(١) فيض القدير، المناوي، جـ ١ صـ ٢٦٢ .

(٢) سورة النور: الآية ٣٣.

(٣) سورة المؤمنون: ١،٧.

المسلمين، وعن فحش القول وزوره، قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

ومنها: العفة عن المسألة، أي عن ما في أيدي الناس، بحيث لا يسأل الإنسان أحداً شيئاً دون حاجة ملحة أو ضرورة، وقد مدح الله تعالى الذين يتخلقون بالعفاف، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[2].

فهؤلاء يتعففون أن يطلبوا من أحد العون والمساعدة سوى خالقهم، لأن نفوسهم عالية تعتز بكرامتها وتتعفف عن سؤال الناس، فيظنهم من لا فراسة عنده أنهم أغنياء.

وإذا تعفف الداعية عن الناس، وتنزه عن دنياهم، كان أحب إليهم، ورغبوا فيه، وبقدر ما يستطيع الداعية أن يحقق لنفسه العفة والورع، بقدر ما يكتسب من تقدير، أما إذا ترك نفسه تتقرب إلى أصحاب الأموال والثراء، وخضع لأموالهم وتطفل على موائدهم ولم يتعفف، فإنه يسقط في أعين الناس، فيضيع دعوته ويسيء إلى نفسه.

- الحرص على صلة الرحم.

صلة الرحم من الأمور المهمة التي يحرص عليها الداعية الموفق في دعوته، وفي هذا الحوار قال أبو سفيان إن النبي ﷺ يأمرهم بالصلة، فعن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[3]، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ فَقَالَ « يَا بَنِى كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ

(1) سورة ق: ١٨.

(2) سورة البقرة: من الآية ٢٧٣ .

(3) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

مِنَ النَّارِ يَا بَنِى مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا بَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِى نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ فَإِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا»[1].

(والمعنى: إذا كنت لا أستطيع إنقاذكم من النار إلا بدخولكم في الإسلام فإن ذلك لا يمنعني من أن أصلكم في الدنيا لقرابتكم مني، وهذا الاستثناء له أثره الكبير في إبقاء حبل الوصل مع عشيرته، فلعل بقاء هذا الخيط الذي يعرفونه ويقدرونه يكون سبباً في إيمانهم بما أنكروه من دعوته ولم يقدروه حق قدره)[2].

وإذا كان النبي ﷺ قد أبقى على صلته مع أقاربه وهم كفار، فمن باب أولى لعموم المسلمين وخاصة للدعاة أن يبقوا على صلتهم بأقاربهم المسلمين، وإن أنكروا منهم بعض السلوك، أو جابهوهم بشيء من النفور والتحدي؛ من أجل أن تكون هذه الصلة سبباً بعد ذلك في عودتهم إلى الالتزام بالدين، واحترام دعاته المخلصين.

وعلى الداعية أن يصل الناس عامة، وأرحامه خاصة، ويشاركهم أحزانهم، ويحل مشكلاتهم، ويزور مرضاهم، فإن الناس إذا شعروا أنه معهم يشاركهم أحزانهم وأتراحهم ويعيش مشكلاتهم أحبوه.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى:(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) جـ ١صـ ١٣٣، رقم ٥٢٢ .والبلال بمعنى البلل وهو النداوة، وأطلق ذلك على الصلة، كما أطلق اليبس على القطيعة، لأن النداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه، بخلاف اليبس فمن شأنه التفريق. قال الخطابي: بللت الرحم بلا وبللا أي نديتها بالصلة.فتح الباري، ابن حجر، جـ ١٠ صـ ٤٢٢.

(2) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د/ موسى شاهين لاشين، جـ ٢ صـ٤٣.

فالداعية بحق يعيش لسواه لا لنفسه، وهذا من أعظم ما يمكن أن يحبب الداعية في نفوس الناس.

الخاتمة

وبعد أن انتهيتُ من هذه الدراسة التي تناولت فيها (حوار هرقل وأبي سفيان – دراسة دعوية)، يمكن في خاتمة هذا البحث أن أوجز أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

أولاً: النتائج.

١- حوار هرقل مع أبي سفيان هو حوار الاستيضاح والاستبيان، فهرقل يسأل عن أمور في حياة النبي ﷺ وسيرته، ويستفسر عن مكانته بين قومه وعن دعوته وأتباعه، وأبو سفيان يجيبه، فكان الحوار بينهما حديثاً بين طرفين عن طريق السؤال والجواب.

٢- ليس معنى اختيار الداعية من أشراف الناس أن يكون زعيما لقبيلة أو رئيسا لعشيرة, ولكن أن يكون في قومه صاحب نسَب طيِّب، وأصل معروف، حتى لا يكُون دخيلاً أو مدَّعياً يطلب الشهرة والصيت من دعواه.

٣- كل رسالات الرسل تحمل اسماً واحداً هو الإسلام الذي دعا إليه جميع الرسل، وتجددت دعوة الإسلام كاملة واضحة على يد النبي محمد ﷺ الذي جاء بانياً على قواعد من سبقه من الأنبياء.

٤- النبوة لا تكون بالإرث، فولد النبي لا يكون نبياً بطريق الإرث عن أبيه، بل هي بمحض الفضل الإلهيّ والاصطفاء الرباني، والنبي ﷺ لم يكن ملكا ولا من آبائه ملك، بل خرجت الخلافة بعده عن أهل بيته.

٥- الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وهم قدوة للدعاة إلى الله في سائر العصور، ما جاءوا لإسقاط دول وإقامة أخرى، ولا يطلبون ملكاً، ولا ينظّمون لذلك أحزاباً، وإنّما جاءوا لهداية النَّاس، وإنقاذهم من الضلال والشرك، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

٦- الواقع غالبا أن الحق يتبعه ضعفاء الناس، وأن أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس الذين يكونون عادة مرؤوسين للملأ وتابعين لهم، وكما

يكونون غالباً هم من الفقراء والضعفاء، وهم أسرع من غيرهم استجابة إلى الحق.

٧- خشية المدعو فوات الرفعة والمكانة من العقبات التي تحول دون قبول الدعوة، فمن أعظم ما يصد الإنسان عن اتباع الحق هو ما لديه من حظوة ورفعه وسيادة عند الناس يخشى فواتها.

٨- إذا خالطت حلاوة الإيمان بشاشة القلوب فلا يمكن للعبد أن يتخلى عن دينه، أو أن يرتد عنه، مهما كانت الأسباب، ومهما بلغت المغريات.

٩- الابتلاء من سنن الله في الدعوة، والرسل يبتلون ويؤذن، لكن في النهاية تكون لهم العاقبة، والحكمة في ذلك الابتلاء أنهم لو انتصروا دائما لدخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميّز الصادق من غيره.

١٠- الدعوة الإسلام تتميَّز بقدرتها الذاتية على الانتشار، وسرعة النفوذ إلى القلوب الحائرة، والنفوس المضطربة، ولقد عرَفت الدعوة الإسلامية كبواتٍ تاريخية صعبة، ولكنها أثبتت قوتها على المواجهة، وقدرتَها على الغلبة؛ لأن وعد الله ماضٍ في جعل المستقبل لها.

ثانياً: التوصيات.

١- أوصي الدعاة بضرورة حاجتهم إلى فهم أصول الجدال والحوار والمناظرة، حتى لا يكونوا صيداً ثميناً لمخالفٍ يريد أن يفسد عليه دعوتهم.

٢- على المؤسسات الدينية الرسمية في الدولة الرد على أهل الزيغ والضلال من أصحاب وأتباع الفرق الضالة المنحرفة، والتصدي لهم بالحوار الفعَّال الذي يفند شبهاتهم، ويبدد أوهامهم، ويردهم إلى الحق رداً جميلا.

٣- ينبغي تسليط الضوء على الشهادات الصادرة من غير المسلمين بعظمة الإسلام، وسمو تعاليمه، وصدق رسولهﷺ، لا سيما أهل المكانة والعلم منهم.

٤- ضرورة استشعار الناس من الداعية أنه يعرفهم لا لشيء يرجوه منهم غير الخير لهم، والتعاون معهم على العمل الصالح، وليس لمصلحة شخصية، أو نيل مرتبة دنيوية على حساب الآخرين، فإن ذلك يباعد الناس عنه، وينفرهم منه.

٥- وجوب التنسيق بين المؤسسات الدينية الرسمية في الدولة؛ لتوحيد الأهداف والخطط والمناهج والأعمال المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى.

والله من وراء القصد، وهو سبحانه نعم المولى ونعم النصير

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

أهم المراجع

أولاً: القرآن الكريم، كلام رب العالمين.

ثانياً: مراجع متنوعة:

١- **إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.**

٢- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني، الطبعة: السابعة، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ.**

٣- **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البدري أبومصعب، دار الفكر، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.**

٤- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت،١٤١٢هـ ١٩٩٢م.**

٥- **أسد الغابة، ابن الأثير، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.**

٦- **الإصابة، ابن حجر، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢.**

٧- **إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة, ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.**

٨- **أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.**

٩- **الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الطبعة: الخامسة عشر، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.**

١٠-إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، الطبعة: الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

١١-أوربا العصور الوسطى، د/ سعيد عبدالفتاح عاشور، جـ١ صـ ١٢٤، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.

١٢-البحث العلمي: مفهومه، أدواته، أساليبه، د/ ذوقان عبيدات وآخرون، طبعة دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

١٣-البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبعة مكتبة المعارف، بيروت.

١٤-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.

١٥-التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٦-التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧-تهذيب الأسماء واللغات، الإمام النووي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م.

١٨-الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت.

١٩-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

٢٠-جلاء الأفهام، ابن القيم، صـ ١٨٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة: الثانية، دار العروبة- الكويت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢١-حتمية الإسلام لأمن البشرية واستقرارها، د/عبد الله عبد الحي، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٧م.

٢٢-خزانة الأدب وغاية الأرب، الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، الطبعة الأولى، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٧م.

٢٣-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند،١٣٩٢هـ١٩٧٢م.

٢٤-الدعوة قواعد وأصول، جمعه أمين عبد العزيز، طبعة دار الدعوة للطبع والنشر.

٢٥-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٦-الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل، ليلى عبد الجواد إسماعيل، طبعة دار النهضة العربية ١٩٨٥م.

٢٧-الرحيق المختوم، المباركفوري، الطبعة: الثانية، دار السلام للنشر والتوزيع ١٤٢٩هـ .٢٠٠٨م.

٢٨-زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٢٩-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني تحقيق: شعَيب الأرنؤوط، محَمَّد

كامِل قره بللي، الطبعة: الأولى، دار الرسالة العالمية،١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٣٠-سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرين، الطبعة: الثانية، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

٣١-سير أعلام النبلاء، الذهبي، الطبعة الثالثة ، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٣٢-السيرة النبوية، ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ ١٩٧٦م.

٣٣-السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ.

٣٤-السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، صـ ٤٠٠، الطبعة الثانية عشرة، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٥هـ.

٣٥-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي، الطبعة: الأولى، دار ابن كثير، بيروت١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٣٦-شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة: الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٥هـ.

٣٧-صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، ط الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣٨-الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٣٩-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠-فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٤١-فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د/ موسى شاهين لاشين جـ ٩ صـ ٥٦٥، الطبعة: الأولى، دار الشروق، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤٢-في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الخامسة، دار التوزيع والنشر الإسلامية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٤٣-في العقيدة الإسلامية والأخلاق، د/ محي الدين الصافي وآخرون، طبعة جامعة الأزهر.
٤٤-فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
٤٥-الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٤٦-كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، نور الدين الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٤٧-الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، الطبعة الثانية, دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٤٨-لسان العرب، ابن منظور ، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٤٩-المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة: الثالثة، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٠-مستدرك الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

٥١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٥٢-المصباح المضيء، ابن حديدة الأنصاري، تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٣-معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبد الله بن حميد، طبعة دار الأندلس الخضراء.

٥٤- معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وزميليه، الطبعة الأولى، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة.

٥٥-معجم البلدان، ياقوت الحموي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م.

٥٦-معجم المعالم الجغرافية، عاتق بن غيث البلادي، الطبعة: الأولى، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٥٧-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة.

٥٨-مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٩-مناهج البحث العلمي ، د / عبد الرحمن بدوى، ط دار النهضة العربية – مصر، ١٩٦٣م.

٦٠- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢.

٦١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الطبعة: الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٦٢- منهج القرآن في تربية المجتمع، د/ عبد الفتاح عاشور، طبعة الأولى، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

٦٣- منهجية البحث في العلوم الإنسانية والتطبيقية، د/ عبود عبد الله العسكري طبعة دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق .

٦٤- الموافقات, إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان, الطبعة الأولى, دار ابن عفان, ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

٦٥- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٦٦- ميلاد العصور الوسطى، موس، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، سلسلة الألف كتاب رقم ٦٢٣، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦٧م.

٦٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٦٨- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٦٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، ط دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

****

فهرس الموضوعات

المحتويات

ملخص: ٣٣٦
مقدمة ٣٣٩
أسباب اختيار الموضوع: ٣٤١
الدراسات السابقة: ٣٤١
منهج البحث: ٣٤١
تمهيد ٣٤٤
أولاً: مفهوم الحوار. ٣٤٤
ثانياً: التعريف بهرقل. ٣٤٩
ثالثاً: التعريف بأبي سفيان. ٣٥٧
المبحث الأول ٣٦٤
المطلب الأول: مكاتبة الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء. ٣٦٤
المطلب الثاني: نصُّ الحوارِ وقِصَّتُه: ٣٧٠
المبحث الثاني ٣٧٧
(الدروس الدعوية في جانب الداعي) ٣٧٧
تمهيد: ٣٧٧
المطلب الرابع: اتصافُ الداعية بمكارمِ الأخلاقِ، والبعدُ عن رذائلِها: ٣٩٣
المطلب الخامس: من صفات الداعية محبة الرسول ﷺ وتعظيمه. ٤٠٢
المبحث الثالث ٤٠٤
(الدروس الدعوية في جانب المدعو) ٤٠٤
المطلب الأول: ٤٠٤
المطلب الثاني: الأغراض الدنيوية للمدعو عائق عن قبول الدعوة. ٤٠٨
المطلب الثالث: ذكاء المدعو في التعرف على صدق الداعي. ٤١١
المبحث الرابع ٤١٧
(الدروس الدعوية في جانب الدعوة) ٤١٧
المطلب الأول: دعوة الحق أتباعها يزيدون ولا ينقصون. ٤١٨
المطلب الرابع: المستقبل لدعوة الإسلام. ٤٢٥

المطلب الخامس: من موضوعات الدعوة في الحوار: ٤٢٨
الخاتمة ٤٣٧
ثانياً: التوصيات. ٤٣٩
أهم المراجع ٤٤٠
فهرس الموضوعات ٤٤٧